كُرة الثلج الحمراء

جانيت كامل

الكتاب: كرة الثلج الحمراء
المؤلف: جانيت كامل

رقم الإيداع: ١٣٨٠١ / ٢٠٢٣
الترقيم الدولي: 978-977-493-933-4
الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣

الناشر
شمس للنشر والإعلام
ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net
shams@shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يُسمح بطبع أو نشر أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هَذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

كُرة الثلج الحمراء

رواية

جانيت كامل

إهـداء

على متن زورق تتقاذفه الأمواج، بين المدِّ والجَزر، صعودًا وهبوطًا، وبين عالي الصوت وخافته، وبين يوم بليله ونهاره وشمس وقمر ونجوم تتلألأ على مد العين والنظر، بما في الحياة من استخلاص للدروس والعبر...

إلى أولئك القادرين على إعطاء المحبة من قلوب تتألم

القادرين على وهب الابتسامات رغم الوجع...

ألف سلام وتحية.

Jana

تـنـويـه

﴿ الصدق صناعة يدوّية،
إنما للأسف لم يعد هنالك حرفيّون ﴾

منذ زمن طويل وأنا أكتب، أكتب الشعر والنثر والخاطرة والقصة القصيرة والرواية، إلاأنني لم أُفكِّر مرة بنشر كتاباتي؛ ليس لسبب معين؛ إنما قد تكون دروب الحياة والظروف تبعدنا أحيانًا عن مسارات كنا ننوي ولوجها في يومٍ ما...

إلى أن جاء هذا اليوم: ٩ تموز ٢٠٢٢، الذي قرَّرتُ فيه كتابة رواية بأحداث واقعية، ونشرها.

وبالفعل أكملت النص، وكتبت التقديم والإهداء. ثم بدأت بالبحث عن دار نشر.

وهنا كان البحث طويلاً ومتعبًا ومضنيًا، استنزف مني الكثير من الصبر والجهد، إذ أن الأوضاع المستجدة التي يمر بها العالم عامةً ولبنان خاصة بظل جائحة كورونا والوضع الاقتصادي المتردي في ظل أزمة الليرة مقابل الدولار وما خلَّفه انفجار مرفق بيروت وما كان له من

تداعيات خطيرة سلبية على البلد، واستقالة الحكومة وشغور منصب رئيس الوزراء... كل هذه الأسباب أجبرت الكثير من دور النشر على إقفال أبوابها وتعليق أعمالها إلى أجل غير مسمى، والدّور التي لا زالت تمارس نشاطها لا تتعاقد مع كُتّاب مبتدئين وغير معروفين، وللأسف فإنني لا خبرة لدي في مجال النشر.

قمتُ بمراسلة الكثير من دور النشر، وقدَّمتُ الكثير من طلبات النشر، وصادف أن جاءني رد من إحداها كنت راسلتهم عبر البريد الإلكتروني. وبالفعل تم التعاقد بيننا وقمت بإرسال مبلغ التكلفة المطلوب.

إلا أنهم لم يلتزموا ببنود العقد، وتخلفوا عن إصدار الكتاب... ثم اختفوا.

شعرتُ بالغُبن والحزن الشديد، لم أغضب صدقًا بل حزنت وبكيت كثيرًا، وكان خوفي الأكبر على مصير روايتي، فالمال يُعوّض (المال يروح ويجيء). وهم لا يردون على مراسلاتي واتصالاتي، فلجأتُ إلى عدة محامين، وتواصلتُ مع العديد من الأشخاص، وأجريتُ الكثير والكثير من التحقيقات لمحاولة الوصول إلى صاحب تلك الدار أو أي شخص له علاقة بها.

وبالفعل توصلت لمعرفة صاحب الدار، حتى أني تمكنتُ من الحصول على نسخة من هويته ورقمه القومي، غير

أني لم أفعل أي شيء، ولم أتقدَّم بأية شكوى رسمية أو بلاغ لقسم الشرطة على عنوان تلك الدار المذكور بالعقد.

بكيتُ بحُرقة، إذ شعرتُ بأن الحلم الذي أوشكتُ على تحقيقه سُرِق مني، وبأن الأمل في إيصال قصتي قد اضمحل، وبأنني لن أتمكن من نشر روايتي أبدًا، لأن العقد الذي وقَّعته مع تلك الدار مشروط بعدم التعاقد مع ناشر آخر لمدة ثلاث سنوات، وهنا كان ضياعي الأكبر وحزني الأعمق بأني خسرت روايتي، وكأنهم سرقوا ابني مني وأخذوه لمكان بعيد لا وصول لي إليه.

إلى أن تواصلت مع (مؤسسة شمس للنشر والإعلام)، وحكيت لهم ما حدث، فأعلموني بأن (تلك الدار) قد توقفت نشاطاتها بالفعل. وتأسَّفوا لي عن مروري بهكذا تجربة سلبية، وقدَّموا لي كامل الدعم والتشجيع، وأخبروني بأن لديهم توجيه من «مستر إسلام» بدعمي ومساعدتي بكل الوسائل المتاحة، وبأنهم يقبلون بالتعاقد معي على الرواية نفسها... وهذا ما حدث فعلاً.

لاحقًا تواصلنا أنا والأستاذ «إسلام شمس الدين» وشكرته على موقفهم معي ودعمهم لي، وعبَّرتُ له عن مدى امتناني وشكري الجزيل وعن سعادتي بالتعاون مع مؤسستهم في إصدار روايتي (حُب قلب) وطباعتها ونشرها في طبعتها الأولى من خلال مؤسستهم.

وها أنا اليوم وفي الوقت الذي أكتب مقدمة روايتي هذه؛ أحمل بين يدي نُسخًا من روايتي الأولى (حُب قلب) بعد أن تمت طباعتها، ووصلتني.

وهنا أتوقف أمام الآية الكريمة: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ومقولة: (الضرب يلي بعلِّم ما بخسِّر).

وكما قال لي مرة صديقٌ وهو كاتب ومؤلف وروائي مصري: (ولا نبكي على اللبن المسكوب).

إن إحساس الظلم صعب جدًا، وحياة البشر معقدة جدًا، والتعامل فيما بيننا يلزمه الكثير والكثير من التعقل والصبر والقلب الكبير.

قد أكون ساذجة وبسيطة، لكنني سأظل كما أنا ولن أسمح لأي أحد بأن يُغيِّرني. رغم أن الزمان كله تغيَّر ولم يعد أي شيء كما كان، إلا أن المحبة لا تتغير، والسعي الدائم للسلام والمصالحة والمسامحة مع الذات أولاً، ومع باقي الناس تاليًا، والصدق؛ لا يجب أن يتغير.

كُرة الثلج الحمراء

جانيت كامل

البداية

بينما كانت الشمس تهِمُّ بإطلاق أولى إشراقاتها وتتحضر ليوم جديد دافئ نسبيًا في ظلها، بعد غياب دام عدة أيام؛ كانت خلالها العاصفة تسيطر وتفرض وجودها على الطُّرقات جاعلة منها بساط من الثلج الأبيض، وكانت السماء مُلبَّدة بغيوم رمادية تتسابق فيما بينها بفعل الرياح القوية.

كان البرد القارص يمنع الأولاد من الخروج إلى الشوارع، إذ كانت المدارس مُقفلة والطُّرقات مقطوعة بسبب تراكم الثلوج. وكان «رامي» ينتظر بفارغ الصبر انتهاء العاصفة لكي تسمح له أمه بالخروج واللعب مع أصدقائه.

وها هي الشمس تُشرق، والشوارع تتحضر لاستقبال صيحات الصغار بعد انقطاع دام عدة أيام اُحتجز خلالها الأولاد وأُجبِروا على المكوث في البيوت قُرب المواقد.

كان لا زال الوقت مُبكرًا، إذ لم تتجاوز السابعة والنصف صباحًا. استيقظ رامي وأسرع لفتح النوافذ صارخًا:

– أُمي، لقد أشرقت الشمس والسماء صافية، فهل

ستسمحين لي بالخروج واللعب قليلاً؟ أعدكِ ألا ابتعد، وأن أنتبه لنفسي جيدًا. أرجوكِ أمي.

كانت أُمُّه تُعدُّ طعام الفطور في المطبخ، وتبتسم وهي تسمع صوته المفعم بالنشاط والحيوية اللذين لا تلمسهما فيه خلال أيام المدرسة المعتادة.

نادته:

– يجب أن تتناول طعامك أولاً، وأن ترتدي ملابس دافئة قبل الخروج.

أخذ رامي يقفز فرحًا. وما أن أنهت أمه كلامها؛ حتى ظهر مستعدًا وكأنه كان يعلم مسبقًا بقرارها بالسماح له بالخروج، وكأنه نام مرتديًا ملابسه الليلة الماضية.

ضحكت أمه وهي تراه متحمسًا لا يستطيع الانتظار أكثر.

جلس إلى طاولة الطعام في المطبخ على كُرسي نصفه عليها والنصف الآخر مستعدًا للانطلاق، فراحت أمه تهز برأسها وهي تراه يلتهم طعامه بسرعة:

– تمهَّل، سوف تختنق!

وشرعت تمسح الطاولة بعد أن سكب الحليب عليها من كثرة الاستعجال.

أنهى شُرب الحليب وهبَّ واقفًا، ينتظر الكلمات السحرية...

– حسنًا، اِذهب، إنما لا تُطيل البقاء طويلاً خارجًا. ويجب أن تكون في البيت في وقت الغذاء. ولا تنسى بأن الركض والتعب ممنوعين.

ورفعت إصبعها في وجهه علامة على جديّة كلامها.

– حاضر يا أُمي، لا تقلقي.

كان رفاقه يصرخون بصوتٍ عالٍ أمام الباب: (رامي، رامي)...

وأخيرًا خرج رامي واضعًا القفازات والبرنيطة، وانطلقوا، تسبقهم صيحاتهم وأصوات تكسُر الجليد تحت أقدامهم، يتصارخون ويتراشقون بكُرات الثلج ويتدافعون كأنهم كانوا مسجونين وحُرِّروا.

امتلأت الشوارع بضجيج الأولاد وهرجهم، وتعالت احتجاجات مَنْ لا يزالون في أَسِّرتهم، يبغون المزيد من النوم والدفء، وتعلو فوقها أصوات الأولاد.

كان رامي وأصدقاؤه الأربعة يلعبون في البستان القريب، ويصنعون رجل الثلج، فيُسرع رامي إلى البيت لإحضار جزرة وحبتيّ زيتون ووشاح لإكمال رجل الثلج الذي بدا وكأنه معلق في الهواء على غصن شجرة. وراح الرفاق يتضاحكون.

وبينما كانوا منشغلين بوضع اللمسات الأخيرة لرجل الثلج، سمع أحدهم مواء بعيد وصرخ قائلاً:

– اسكتوا، هنالك صوت قطة.

راحوا يقتربون إلى أن أصبح الصوت قريبًا.

كان هناك قرب البستان بيت قديم مهجور، نوافذه مخلَّعة وعلامات الدخان الأسود لازالت واضحة على الحيطان وبابه المكسور شبه مقفل. فوقف الأولاد وراحوا ينظرون إلى بعضهم ويتلفتون يمينًا ويسارًا خائفون من التقدم أكثر. قال أحدهم:

- لن أدخل ذاك البيت إطلاقًا.

فأجاب صبيٌّ ثاني:

- ولا أنا، إن هذا البيت مخيف جدًا، ولا أحد يجرؤ على دخوله.

وافقهما صبي آخر بهزّ رأسه، بينما الولد الرابع وهو الأكبر بين الرفاق، صار يسخر منهم ويصفهم بالجبناء، قال ضاحكًا:

- البنات الجبناء.

وصار يدفع بهم واحدًا تلو الآخر، فدخلوا البيت وقد اتسعت عيونهم للتكيُف مع الضوء الخافت في الداخل. يبدو أن القطة قريبة جدًا، وبالفعل كان في زاوية الغرفة قطة صغيرة ترتجف من البرد. وما إن رأت الأولاد حتى ارتعبت وحاولت الهروب فأسرع الولد الأكبر إلى الخارج وأحضر كومة من الثلج وضعها قُرب الباب في الأعلى حيث كان الباقون يقفون بقرب درجات السلم المؤدي إلى

الغرفة، وراح يلتقط القليل من الثلج ويُكوّره بين كفيه جاعلاً منه كرة كبيرة يرمي بها القطة، والقطة تهرب من مكان إلى مكان داخل الغرفة ولا مكان للاختباء. وراح يحثّ الباقين على الصعود، فأسرعوا يفعلون مثله، فيأخذون الثلج ويرشقون به القطة المسكينة ويضحكون، بينما رامي يصرخ ويقول: (توقفوا، توقفوا).

إلاانهم لم يتوقفوا وظلوا يرمون كرات الثلج وكل ما تصل إليه أياديهم، ولا مفر للقطة فتلتف حول نفسها في زاوية مظلمة ترتعش من الخوف بحيث ما عاد يُسمع صوت موائها الذي أصبح وكأنه يأتي من البعيد البعيد.

أخذ أحد الأولاد القليل من الثلج وكان قاسيًا جدًا قطعة من الجليد داخل الثلج، لكنه لم يكترث لهذا ورمى بها القطة التي صرخت صرخة قوية، وحيدة، وساد الصمت للحظة وعمَّ السكوت بعدها، وكأن الغرفة ضاقت بمن فيها، فراح رامي يدفع برفاقه بعيدًا وهو يصيح بهم أن يتوقفوا عن ضرب القطة التي سقطت على الأرض وكأنها دُمية بلا حراك.

غضب رامي وخاف كثيرًا، ولم يعلم ماذا يفعل. فقد بدأت الدماء تسيل وترسم خطًا أحمر امتزج مع بياض الثلج تحت القطة الصغيرة، وهي تتأوّه متألمة وتحاول الهروب ولا تقوى على الحراك. فأسرع رامي ورغم الدموع

الغزيرة التي تنهمر من عينيه، وصار يبعد الثلج الذي غطَّى القطة وحجبها تحته، ونزع معطفه ولفَّ به القطة الصغيرة وحملها بين يديه بهدوء، وأسرع إلى منزله ينادي أمه ويصرخ:

– أُمي، أسرعي. أسرعي، إن القطة تموت.

كانت الدموع تسيل على خدّيه غزيرة ساخنة ويداه ترتجفان. فأسرعت أمه تفتح الباب لتجده واقفًا يرتعش مثل ورقة خريف تتقاذفها الرياح، ويحمل معطفه وكأنه يحمل طفلاً صغيرًا.

– ماذا جرى، ما هذا الذي تحمله، ولماذا تبكي؟

– أسرعي، إنها تموت يا أمي، أرجوكِ ساعديها.

بهدوء أخذت أمه المعطف من بين يديه التي ظلَّت معلقة في الهواء مباشرة أمام صدره، ودهشت حين رأت القطة الصغيرة وهي تنزف ومبتلة كُليًّا بالماء الذي كان يغطيها كلها، وقطرات الدماء التي تسيل من خلال المعطف الصوفيّ السميك، فأسرعت بإحضار منشفة جافة وصارت تجفف القطة.

– أخبرني ما حدث بسرعة.

أخبر رامي أمه كيف أن الأولاد قاموا بإيذاء القطة وضربها. وبينما كانت الأم تتفحص جسد القطة لمعرفة مدى عمق الجروح، كانت تحاول تهدئة ابنها فالتوتر يُضِّرُ

بصحته، وفي الوقت ذاته تحاول الاستفسار منه أكثر عن الذي حدث وكم من الوقت والقطة تنزف بهذا الشكل.

طلبت منه إحضار حقيبة الإسعافات الأولية من الخزانة في المطبخ، وأسرعت لإحضار المزيد من المناشف ووضعت غطاءً صغيرًا تحت القطة وبدأت بتنظيف الجرح البارز من قدم الهرّة الصغيرة، وبعض الخدوش الكثيرة المنتشرة في جسدها ووجهها، حتى أنفها الصغير كان ينزف. ورامي يقف قُربها يراقبها:

– هل ماتت القطة يا أمي؟ هل ستموت؟

كانت الدموع لا تزال تنهمر من عينيه، فطلبت منه أمه الذهاب لغسل يديه ووجهه جيدًا.

– لا، لن ندعها تموت، سوف نهتم بها، وسوف تساعدني أنت في تضميد جراحها. فأسرع وأحضر قنينة المُعقِّم من الدرج الصغير قُرب سريري، يجب أن نوقف النزيف قبل أن يصفي دمها كله.

أسرع رامي لفعل ما قالته أمه وهو يفكر بأنه سوف يخاصم أصدقاءه ولن يلعب معهم بعد ذلك أبدًا.

بعد قليل دخل والده، وسأله:

– ماذا هناك؟

أخبره رامي بالذي حدث.

– لا تؤخِّرني يا أبي، إن القطة تتألّم.

وقف والده يراقب من بعيد ما يجري ويتحضر لأي طارئ. وبعد حوالي الساعة كانت الأم قد ربطت قدم القطة بقطعة كبيرة من القطن ووضعت ضمادة لتحافظ على الجرح نظيفًا ووضعت الدواء المُعَقِّم على كل الخدوش وجففت ذاك الجسد الغض الذي ما فتئ يرتعش من الخوف والوجع...

– ها قد انتهينا أيتها الصغيرة، إنكِ بخير الآن، لا تخافي.

كانت تمسّد شعر القطة بعطف وتحدّثها بصوت خافت كي تُهدِّئ من روعها، ولفَّتها بحرام دافئ وحملتها بهدوء ووضعتها قُرب الموقد وأسرعت بتنظيف الفوضى التي حدثت من جراء الاهتمام بجراح القطة، وطلبت من زوجها الذهاب إلى الدكان وإحضار الدجاج من أجل إطعام القطة.

كان رامي لا زال يقفل علبة الإسعافات الأولية، فأخذتها أمه بعد أن لاحظت بأنه لا زال خائفًا كثيرًا.

رامي بعمر الحادية عشر لكنه كان ذكيًّا جدًا، وطفلاً ودودًا مرِحًا، وقد حزنت أمه لمروره بهذه التجربة القاسية وهو يمتلك قلبًا رقيقًا وعطوفًا رغم صغر سنه...

– اهدأ يا حبيبي، إن القطة بخير وسوف نهتم بها إلى أن تتعافى كُليًّا، والآن سوف نُعِدُّ لها الطعام المناسب من أجل أن تتحسَّن حالتها سريعًا، فاذهب لإحضار الكوسا والجزر من البراد بينما أُحضِّر أنا البطاطا.

بدأت الأم بتحضير الخضار، وكان الأب قد أحضر الدجاج وبدأوا جميعًا بإعداد الحساء للقطة. كانت الأم تهرس الخضار وتطحن قطع الدجاج وتسكب الطعام في طبق صغير من أجل أن يبرد قليلاً، إذ لا تستطيع القطة تناوله وهو ساخن، كما وأنها صغيرة جدًا بالكاد تظهر أسنانها اللبنية (وهي الأسنان التي تظهر أولاً في الأسبوع الثاني أو الثالث من عمر القطط الصغيرة، حديثة الولادة، ويكون عددها ٢٦ سن لحين تتمّ القطة أسبوعها السادس لتبدأ بعدها مرحلة التسنّين وتبدأ أسناها اللبنية في التساقط حتى الشهر العاشر، مع بداية الأسبوع الثامن، تبدأ الأسنان الأساسية بالظهور بشكل تدريجي وتكتمل تمامًا بين الشهر السادس أو السابع وعددها ٣٠ سن وهي الأسنان الدائمة التي سترافق القطة طوال أيام حياتها وتكون على الشكل الآتي: الفك السفلي: ١٤ سن مقسمة إلى ٦ قواطع وهي (الأسنان العادية) في المقدمة وبعدها ناب من كل جانب و٤ ضواحك (٢ على كل جانب) وبعدها ضرس في كل جنب. الفك العلوي: يوجد فيه ١٦ سن ينقسم إلى ٦ قواطع في المقدمة وناب على كل جانب وثلاث ضواحك في كل جنب ثم ضرس واحد في كل جانب.

القطط مثل الأطفال تمامًا لا تستطيع مضغ الطعام جيدًا وعلى الأرجح أنها تتضور جوعًا وهذا كفيل بجعلها تلتهم الطعام بسرعة، وقد تختنق.

كان رامي يجلس قُرب القطة يراقبها وهي تتحرك ببطء وتحاول الوقوف ولا تقدر فتعاود الالتفاف قرب الموقد وتنظر إليه بعيون متعبة وخائفة، وهذا الشيء أحزنه كثيرًا فهو لم يقُم بإيذائها، وهو غاضب جدًا من رفاقه وبالأخص « خالد» الذي ضرب القطة وتسبب لها بكل هذه الجراح وشجّع باقي الأولاد على ضربها.

ذهب رامي إلى المطبخ وأحضر سلة من القش كانت أمه تستخدمها لوضع الفواكه، ونظَّفها ووضع بداخلها بطانية سميكة ناعمة وحمل القطة ووضعها بداخلها قائلاً: (هذا سريرك من الآن وصاعدًا).

كانت أمه تراقبه بصمت، تملأ عينيها الدموع. وبما أن الوقت قد أصبح متأخرًا بعض الشيء وكان قد فاتهم تناول طعام الغداء، فأحضر والده طاولة ووضعها بالقرب من المدفأة وجلسوا يتناولون طعامهم قرب القطة التي كانت بدورها تلتهم طعامها بجوع واضح، لكنها ما تلبث أن تتعب فتتوقف قليلاً وتغمض عينيها الزاغلتين من الوجع والمعاناة التي مرَّت بها تلك المسكينة لتعاود بعد برهة فتحهما وتناول القليل من جديد.

كانت «هدى» تراقب القطة وتراقب ابنها وطريقة تنفسه إذ بدا عليه أنه يعاني من صعوبة في التنفس، وأن صدره يعلو ويهبط بشكل غير منتظم. وراحت هي وزوجها

يتبادلان النظرات القلقة ذاتها، إذ أن رامي يعاني من ضيق في صدره منذ أن كان طفلاً رضيعًا، حيث بدت عليه أزمات من صعوبة في التنفس والسعال الحاد، والحرارة المرتفعة، وقد أُدخل إلى المستشفى للعلاج وإجراء بعض الفحوصات الطبية اللازمة، وتمَّ تشخيصه على انه مرض «الربو». كما وأنه يعاني من اضطرابات نفسية وعوارض تكون أحيانًا قوية وقيئ مستمر مما يضطر أهله لإدخاله بين الحين والآخر إلى المستشفى لتلقي العلاج اللازم والسريع، فإن أيّ صوتٍ عالٍ يسبب له حالة من الفزع والرهاب ويؤدي به إلى التبول اللإرادي، فقد بدأت هذه الحالة معه عندما قام أحد الجيران بإطلاق الأسهم النارية والمفرقعات القوية التي خلَّفت وراءها رائحة كريهة ودخان كثيف، ثقيل، وإطلاق وابل من الرصاص من بارودة حربية أمام مدخل المنزل الذي كانوا يسكنون فيه في الماضي، وكان آخرون يصفقون بقوة ويصرخون بأصواتٍ جنونيّة، وآخر يضرب الطبل بعصا غليظة بشكلٍ هستيريّ.

كان رامي حينها صغيرًا جدًا لا يتخطى عمره الخمسة أشهر، ومنذ ذاك الوقت وهو على هذا الحال، وقد نبَّههم الطبيب على أهميّة تأمين الهدوء التام والجو الملائم لحالة الصغير وعدم تعريضه لأية ضوضاء أو أصوات عالية قد تتسبَّب في دخوله من جديد في حالة من الهلع المفاجئ، وتجنيبه الروائح والدخان. وهذا ما اضطرهم للبحث عن

منزل جديد يكون أكثر هدوءًا من بيتهم السابق حيث أن الحيّ كان مزدحمًا جدًا وسكانه دائمو الاحتفالات وإطلاق المفرقعات التي لا تنفع أحدًا، بل على العكس تمامًا، فإنها تُضِّر بالبيئة والمجتمع والطبيعة، وتُسبِّب الرعب للأولاد والمسنين مِن مَن لديهم مشاكل صحية كالتي يعاني منها رامي، والتي هي بسبب المفرقعات والألعاب النارية ومُطلقيها.

وهنا كان لا بد لـ«هدى» من إطلاق صرخة، وقد تركَّز سعيها على الاستعانة بالأموال المهدورة لأسعار مثل هذه السلع المضرة وتُسبب الأذى وثمنها باهظ، والاستعاضة عنها بمساعدة الأيتام في الملاجئ، والمُتسوِّلين الذين لا مأوى لديهم سوى الشارع ولا سقف يقيهم من صقيع الشتاء وبرده وعواصفه ولا قيظ الحر والشمس الحارقة وجفاف الصيف، والمرضى والأطفال المصابين بأمراض مزمنة وتأمين أدوية للأمراض المستعصية، وتقديم المعونة للأرامل والمحتاجين إذ إن أوضاع الشريحة الأكبر من الناس أصبحت تحت خط الفقر المدقع والبطالة، وكثيرون من بينهم عاجزون عن سدّ جوع أطفالهم ولو بقطعة خبز صغيرة جافة أو ناشفة متيبسّة أو حتى متعفنة، فمعظم العُمَّال تمّ الاستغناء عنهم بطرق تعسفية أو استبدالهم بيد عاملة بأقل أجور وبطرق غير شرعية بحيث لا يتكبدون عناء تثبيتهم في الضمان الاجتماعي

ولا حتى التأمين الصحي والاستشفائي على حياتهم أو عن الحوادث التي قد تحدث، وبالتالي يكون الإنتاج أكثر والمصاريف أقل لصالح الشركات نفسها، فوالله هذا ظلم.

إنما من دون نتيجة، فرغم سعيها الحثيث والمضني ومحاولاتها الدؤوبة لم تتمكن من ردع الناس عن استكمال عاداتهم المضرة والمؤذية في احتفالاتهم، ولا ثني التُّجار عن بيع المفرقعات والمتاجرة بصحة العالم وأمنهم .

••••

مضى النهار ذاك اليوم بطريقة غير معهودة، فقد أصرَّ رامي على النوم قُرب المدفأة بجانب القطة من أجل أن يحرسها كما قال. ففرش بطانية أرضًا قُرب سلة القش الموجودة القطة بداخلها، ووضع رأسه قربها وصار يراقبها إلى أن أغمضت عينيه وغلبه النعاس. فقد كان نهاره طويلاً ومليئًا بالاضطرابات والتوتر.

اقتربت أمه ببطء وغطّته جيدًا وتأكّدت بأن القطة دافئة ونائمة وبأن النزيف قد توقف. إن صغر القطة هو سيفٌ ذو حدّين، قد يساهم صغرها في التئام جراحها سريعًا، أو قد يؤدي صغرها وعدم التغذية السليمة وابتعادها عن أمها وعدم إرضاعها إلى تفاقم الأزمة، وبالتالي يؤدي إلى

الإصابة بأمراض مزمنة وضعف في صحتها على المدى البعيد وهذا ما لن تسمح، بحدوثه بإذن الله.

كانت تشكر ربها بأن القطة بخير الآن آملة بأن تجدها وقد تحسَّنت أكثر في الصباح.

ذهبت إلى المطبخ تحاول ترتيبه قليلاً! عالمة بأن ليلها سوف يكون طويلاً هذه الليلة التي أمضتها تتنقل بين ابنها والقطة للاطمئنان على كل واحد بدوره.

وأطلّ صباح اليوم التالي وكان الهدوء يخيّم على أرجاء المنزل، إلا أن مواء القطة الصغيرة التي راحت تدور في البيت من غرفة إلى غرفة قد أيقظ الأم التي كانت بالكاد أغمضت عينيها لبرهة على المقعد الصغير قُرب الموقد الذي حرصت على إبقائه مشتعلاً طوال الوقت من أجل تدفئة الصغيرين. فأسرعت إلى المطبخ لتجد القطة تحاول الصعود إلى المجلى ولا تستطيع، إذ يبدو بأن جرح قدمها يؤلمها كثيرًا، المسكينة. وعلمت أن القطة تشعر بالعطش، فحملتها وحضنتها بتروي إذ أنها لازالت خائفة وهذا أمر طبيعي بعد الأذى الذي أُلحق بها وتسبب بإيلامها، فضلاً عن حزنها من جراء اختفاء أمها وتركها وحيدة ولا أحد يعلم لكم من الوقت.

قبَّلت «هدى» ذاك الرأس الصغير لتلك الهرة الجميلة، ووضعت لها وعاءً صغيرًا من الماء النظيف الذي تشتريه

خصّيصًا من أجل «رامي» فهي لا تدعه يشرب من ماء الحنفية إذ أنها تكون معكّرة ومُوحلة أحيانًا.

راحت القطة تشرب وقد نظرت إليها وكأنها تقول لها: (شكرًا لأنكِ تهتمين بي). فانحنت وحملتها: (يا الله كم أنتِ صغيرة وضعيفة أيتها المسكينة). وقبَّلتها وقامت بفحص جسمها كله وقد وجدت بأن النزيف قد توقف بالفعل وشكرت ربها على هذا.

دخل رامي كالمجنون يبحث عن القطة وقد ظنّ بأنه فقدها حين استيقظ ولم يجدها داخل السلة، وكم كانت فرحته كبيرة حين وجدها تمشي وإن كان ببطء إلا أنها تبدو على أنها قد تحسنت قليلاً.

طلب من أمه إعداد الحليب له وللقطة. فأخبرته بأن القطة لا تستطيع شرب الحليب الذي يشربه هو، وأن لها حليبًا خاصًا يكون خاليًا من «اللاكتوز» الذي لا تستطيع القطط هضمه، وقد يتسبب في تلبك في جهازها الهضمي وألم في بطنها. وأنها سوف تحضره لها لاحقًا من المكان المخصص لطعام القطط أو من عيادة الطبيب البيطري، وبأن الحساء الذي أعدّوه مفيد جدًا جدًا لها وسوف يساعدها على الشفاء سريعًا، وسوف تكتسب بعض الوزن الذي يبدو بأنها فقدته خلال هذه العاصفة التي مرَّت، إذ يبدو بأن لا أحد يهتم بها، كما وأن أمها قد تكون تبحث عنها،

إن أتت إلى ذاك البيت ولم تجد ابنتها فسوف تحزن، وقد تمرض إن لم تتمكن من إيجادها، قد تكون ذهبت للبحث عن الطعام أو تكون الصغيرة ابتعدت عن المكان الذي وضعتها فيه أمها وتاهت، وقد تكون أمها ماتت... هنالك عدد كبير من الاحتمالات وكلها قاسية ومُحزنة.

دخل «رافي» إلى المطبخ، وألقى تحية الصباح واقترب يُقبِّل جبهة زوجته، التي نظرت إليه نظرة تساؤل عن سبب تأخره فإن مناوبته تنتهي في الثامنة والنصف والآن أصبحت الساعة التاسعة والربع ويلزمه سبع دقائق فقط للوصول إلى البيت، كما وأنها تنبَّهت بأنه بالأمس أيضًا تأخر في العودة، وقد لاحظت بأن رائحة الكحول تفوح منه، رغم أنه قد وعدها سابقًا بعدم الشُّرب مجددًا، إذ أنه وفي وقت سابق قد أدمن على شرب الخمر لفترة وقد عانت هي الكثير بسبب إدمانه، وحدث الكثير من المشاكل والمشاحنات بينهما، حتى اقتنع بضرورة طلب المساعدة من أحد المختصين، وبالفعل أُدخلَ إلى مركزٍ لإعادة التأهيل من الإدمان على المشروبات الكحولية ومزاولة ألعاب الميسر والتدريب على الانخراط بالمجتمع من جديد بعد أن ابتعد عن كل العائلة وعن أصدقائه، وأهمل عمله حتى طُرد منه، كما أنه لم يكن يدفع إيجار البيت الذي كانوا يسكنون فيه وقتها، والذي قام صاحبه بطردها هي وابنها لاحقًا بعد أن حاول التودُّد إليها والتحرُّش بها، لكنها صدَّت محاولاته

القذرة، وقد أمضى زوجها حوالي الأربعة أشهر، إلى أن قرَّر التوقف والعودة إلى أسرته.

تحمَّلت «هدى» وحدها كل تداعيات الوضع وتأثيره السلبي على نفسية «رامي» لغياب والده بوقتها، وقد عانت من أجل تأمين المال لدفع أقساط رامي المدرسية وإيجار البيت الجديد الذي انتقلت إليه وحدها في غياب زوجها، والمأكل والملبس والأدوية لوحيدها، وتدبير أمور الحياة اليومية الصعبة، فاضطرت للعمل في وظيفتين مختلفتين في نفس الوقت، فقد كانت توصل «رامي» صباحًا إلى المدرسة، ثم وتتوجه إلى عملها الأول عند عائلة (مرعي) وهو «مختار الحي» وتعمل لديه كمساعدة في مكتبه كما وإنها تهتم بابنه الصغير المقعد بعد أن استقالت مربيته السابقة من الوظيفة وقد وجدتها «هدى» فرصة ذهبية لزيادة مدخولها. وبعد الظهر كانت تُحضر ابنها من المدرسة، لتعود وتتوجه إلى عملها الثاني حيث تعمل في مطبخ أحد المطاعم كمساعدة للطاهي الذي ما كان يدع أيّ فرصة تمرّ دون أن يُذكِّرها بضرورة الاهتمام بنفسها وصحتها إذ أنها كانت تبدو متعبة كثيرًا وقد فقدت الكثير من الوزن في فترة قصيرة جدًا، وكانت تتبسم من دون أي تعليق.

وعندما تنتهي من عملها بعد أن تكون قد جهَّزت كل شيء وحضَّرت الخضار والفواكه وكل شيء يحتاج إلى التحضير

في وقت سابق، ووضعت جدولاً بالأطباق والحجوزات لليوم التالي، تعود مسرعة إلى البيت من أجل التنظيف وتحضير الطعام ومساعدة «رامي» في دروسه استعدادًا لليوم التالي.

وكانت تنتظر أخر الشهر بفارغ الصبر من أجل تسديد ديون زوجها بعد أن طُرد من عمله بسبب إهماله، وأخفى عنها هذا الأمر طوال شهرين، وكان يذهب في موعد العمل ويعود بالوقت المعتاد، لكنه لم يكن يذهب إلى عمله بل عند أحد أصدقائه حيث كان يمضي الوقت بالشرب واستدانة المال ولعب القمار. وقد فُضحَ أمره حين بدأ الدائنون يطالبون باسترجاع أموالهم. صُدِمت «هدى» بوقتها.

وأيضًا كان عليها دفع أقساط المدرسة المتأخرة وإيجار البيت ودفع حساب المركز الذي يعالج «رافي» بعد أن وافق الطبيب على تقسيم المبلغ لعدة دفعات.

كان التعب ينهك قواها وقد هدَّ الهمّ حيلها، لكنها لم تستسلم ولا لحظة، وقد زاد العوز الذي كانت تحيا في ظله وفقر حالها من تصميمها على الصمود أمام كل الصعاب التي تواجهها وتحدّي تعبها وعذابها والحزن العميق الذي كان ونيسها الوحيد والخوف الدائم الذي كان يؤرق مضجعها في كل ليلة من أجل تأمين الحياة الكريمة لابنها

بالحد الأدنى، والحرص على عدم حرمانه من أي شيء يريده رغم صعوبة الأمر أحيانًا.

وها هو الآن يعود إلى الشُّرب من جديد، وهل ستمر بذات التجربة من جديد ؟

أخرجها سؤال «رامي» من شرودها حين سأل إن كان بإمكانه الاحتفاظ بالقطة والاهتمام بها، فأخبرته بأنه يجب عليهم أولاً التأكد من مكان وجود أمها، إن كانت موجودة... فإن المكان الطبيعي للصغيرة هو بالقرب من أمها التي هي الوحيدة القادرة على الاعتناء بها، لأنها لازالت صغيرة جدًا.

- أنتِ تستطيعين الاعتناء بها...

ثم توجه إلى أبيه:

- أليس هذا صحيحًا يا أبي؟

- أجل يا رامي، إن أمك تستطيع الاهتمام بالقطة والاعتناء بها، كما تهتم وتعتني بنا، ولكن يجب أن تبقى الصغيرة مع أمها.

- وكيف سنعرف مكان أمها؟ وإن لم نجدها فهل أستطيع الاحتفاظ بالقطة؟

نظر «رافي» إلى زوجته من دون أن يعرف بماذا يُجيب ابنه، وهنا تدخلّت الأم لإنقاذ الموقف قائلة:

- سوف نرى ماذا سيحدث بهذا الشأن في حينه، أما الآن يجب عليك تناول فطورك وأخذ الدواء.

بعد قليل كان رامي يتناول طعام الصباح المُكوَّن من الحليب والبيض والجبن الذي أحبَّته القطة كثيرًا (برغم أنها لا تعرف كيف تأكل جيدًا) بعد أن سأل أمه إن كان يستطيع إطعامها بعضًا منه ووافقت.

كانت الأم تراقب تحركاته وتصرفاته وقد شعرت بأنه منهمك بالاهتمام بالقطة ومجالستها ومراقبتها طوال الوقت، ولا يدعها تغيب عن عينيه لحظة واحدة، كما لاحظت بأن وجهه مصفر قليلاً وخديه يعلوهما الاحمرار، فقامت بلمسِ جبينه لتجد بأنه ساخن بعض الشيء. بدأ الهمّ يتلاعب بأعصابها بأفكارٍ ومخاوف، تخشى حدوثها.

كان هو والقطة يأكلان بنهم، وإذ بصوت رفاقه ينادونه للعب معهم، فنظر رامي إلى أمه وقال بأنه لن يتحدّث مع أصحابه بعد الآن، ولن يلعب معهم ولن يشاركهم في الدرس أو أي شيء مطلقًا. إلا أن أمه أخبرته بأن يجب عليه أن يتحدث معهم وأن يوضِّح لهم بأنهم أخطأوا وبأن ما فعلوه غلط ويجب عدم أذيّة الحيوانات الصغيرة أو ضربها، بل بالعكس يجب الاهتمام بها وإطعامها أو تركها وشأنها إن كنا لا نستطيع مساعدتها، ويجب الإبلاغ عن وضعها بسرعة إن كانت تعاني من إصابةٍ ما أو إن بان عليها علامات المرض، قد يأتي أحد ما ويهتم بها... ثم تابعت:

– لكن الآن أكمل فطورك لكي تأخذ الدواء، وأنا سوف استعد للذهاب إلى السوق لإحضار بعض الحاجيات

الضرورية من أجل القطة، كما أنه يجب تنظيف جرحها وتغيير الضمادة.

وهكذا حصل. ويبدو على أن وضع القطة مستقر نسبيًا، ليس هنالك من تقدُّم فقدمها متورمة، وقد بدت الخدوش في وجهها ظاهرة أكثر ومنتفخة ولونها قاني، إنما الأهم بأنه لا يوجد تراجع في حالتها الصحية، وطالما أنها تأكل جيدًا وتشرب فإن هذا مُطمئن وجيد لحد الآن على الأقل.

آلمها ما حدث كثيرًا، وقررت أن يكون لها حديث طويل مع أهالي أولئك الأولاد، فما حدث ليس صائبًا، وينبغي عليهم توعية أبنائهم وعدم السماح لهم بأذية قطط وكلاب الشارع، فهذه مسؤولية الأهل، ويبدو أنه ممزوج ببعض التقصير من قِبلهم إن كان أولادهم يقومون بهكذا تصرفات.

لم تتقبَّل «هدى» فكرة أنه يمكن لأولاد صغار أن يحملوا بداخلهم هذا الأذى وهذه الشراسة والقسوة، فهُم بعُمر الثالثة عشر وما دون، ويضمرون هذا الكمّ من الشَّرّ في قلوبهم من دون رادع أو وازع، ومن أين آتتهم هذه الجرأة المُدمِرة، هذه الجرأة المُجرِمة؟ وكيف سولت لهم نفوسهم بأذيّة قطة صغيرة، طفلة صغيرة، روح صغيرة؟ وذاك الولد (خالد) كيف أمكنه فعل ما فعل؟ أين الطفولة والبراءة التي من المفترض أن تكون صفة الأطفال؟ فإنه بعيد كل البعد عنها، إنه مشروع صغير لمجرم كبير في المستقبل،

ناهيكم عن نوعية الحياة التي سيعيشها وما قد تحمله من أوزار ومتاعب قد تجعل منه قاسٍ أكثر ومُؤذٍ أكثر ومُجرمًا أكثر.

••••

على ما يبدو وكأن العاصفة تأبى المُضي بحال سبيلها قبل أن تُغطّي من جديد الشوارع التي قام بعض السُّكان بفتحها وإزاحة الثلوج المتراكمة إلى جنبات الطرقات التي أصبحت أضيق في بعض الأماكن...

وها هي السماء ملبدة بغيومٍ داكنة وضباب كثيف يتجول وحده في الأزقة الخالية التي تبدو وكأنها مهجورة ومتروكة استعدادًا لعودة عاصفة ترفض التخلي عن سلطتها في ظل الصقيع الذي يصيّر الباحات الرئيسية والأروقة الجانبية صفحة من الجليد اللامع الذي يعكس على وجهه ملامح السماء المكفهرة.

لا حلَّ أمام هدى، إنها مُجبرة على الذهاب إلى السوق رغم رداءة الطقس ولا بد لها من السير كل تلك المسافة الطويلة التي تفصل عيادة الطبيب البيطري عن بيتها وعن حانوت العم «ونيس» حيث ستحضر دواء رامي. وبما أن رافي قد خلد إلى النوم؛ نبّهت رامي على حُسن التصرف وعدم فتح

الباب لأحد، والتأكد من عدم خروج القطة من الباب:

– الصغيرة في عهدتك الآن فحافظ عليها وعلى سلامتها جيدًا، مسكينة تلك الصغيرة، لا بد أنها بحاجة للدخول إلى الحمام إذ أنها منذ الأمس وهي نائمة وها هي الآن مضطربة وتدور في البيت بحثًا عن مكان ملائم

ارتدت ملابسها بسرعة من أجل الذهاب والعودة سريعًا قبل وصول العاصفة، وهي تُفكِّر بهذه المسكينة، إنها صغيرة وقد تكون فقدت أمها، أو أن أحدهم قام برميها عن عمد، وهذا التفكير جعلها تغضب وتشعر بالضيق والرغبة في ضرب أولئك الأولاد ضربًا مبرحًا، وفي الوقت عينه كانت تشعر بنوع من الامتنان لما حصل لأنه مكَّنها من العثور على القطة والاهتمام بها، وإلاّ فالله وحده يعلم ما كان ممكن أن يحدث لها في ظلِّ هذا الصقيع وهي بعيدة عن أمها ومتروكة لمصير غامض مجهول.

هذه الأفكار التي كانت تدور في رأسها وهي تحث الخطى بالسير بسرعة لإحضار الحاجيات، إذ لا بد بأن القطة منزعجة، وتخاف أن يحدث في غيابها أي شيء، كما أنه يجب عليها تحضير الطعام والاهتمام بأمور البيت وأيضًا مساعدة رامي في الواجبات المدرسية.

توجَّهت أولاً إلى المتجر لشراء الحليب الخاص بالقطط الصغيرة وبعض الأشياء الضرورية فقط، إذ أن المال

المتبقي بحوزتها بالكاد يكفي، والواقع أن أخر الشهر لازال بعيدًا، إنما يجب الاهتمام بالقطة الصغيرة. إلا أن المتجر كان مقفلاً اليوم شأنه شأن الكثير من المتاجر التي فضَّل أصحابها البقاء في منازلهم قرب المواقد.

كانت هدى تحس بضيق شديد لا مبرر له، ويتملكها إحساس غريب سيطر على أفكارها بأن هنالك شيء ما سيحدث، وهذا الإحساس أزعجها بعض الشيء، فأرادت الانتهاء والعودة سريعًا إلى البيت، فزوجها لا يستفيق قبل ساعتين وربما ثلاثة وأكثر أحيانًا، ورامي وحده مع القطة الصغيرة. وبما أن العدد الأكبر من المحلات مقفل بسبب الجليد الذي يغطي كل الطرقات وخطر الانزلاق كبير، ولهذا كانت تمشي ببطء شديد وتأنّي في بعض الأماكن.

كان لا بدّ لها من التوجه إلى الدكان الوحيد الذي لا يقفل أبوابه أبدًا بوجه أحد ومهما كانت الظروف، رغم بُعده وافتقاره للكثير من السلع، دكان «الحبيب» وهو بعيد في أخر الضيعة تقريبًا، وهي عادةً تتحاشى كثيرًا الذهاب إلى هذا الدكان في ظل وجود ذاك العجوز الذي تهاب حضوره، فهو غريب في تصرفاته وهي تشعر بالرهبة والتوتر منه، حتى أنها كانت تسمع بعض الشائعات التي يتهامس بها بعض السكان المحليين حول قدرات ذاك العجوز في شفاء الناس باستعمال الأعشاب والسحر، والذي يدعوه الجميع بالعم «ونيس الحبيب». وهي بحاجة ماسة لتلك

الخلطة التي يقوم بتحضيرها من مكونات لا يفصح عنها لأيّ مخلوق، كانت إحدى نساء الضيعة قد أعطتها القليل منها في السابق، يومها كان نهار دراسي عادي إلاأنه ما كاد يمضي على ذهاب رامي إلى صفه سوى ساعة ونصف وإذ به يعود وقد قامت بمرافقته تلك السيدة التي هي من لجنة الأهل والأصدقاء لأولياء الطلبة، قائلة بأنه أُصيب بنوبة من السعال الحاد وضيق في التنفس، ولكنه تحسَّن بعد أن وضعت له بعضًا من هذا المعجون على صدره وظهره، فتوقف السعال. وقد أعطتها علبة تحتوي على القليل المتبقي من ذاك المستحضر الخاص الذي يقوم بتحضيره جدها من الأعشاب النادرة، ودلَّتها على مكان تواجد دكانه الصغير النائي نسبيًا.

وبالفعل قصدت ذاك الرجل بعد نحو الشهر من تلك الحادثة من أجل إحضار علبة جديدة من المرهم بعد نفاذ الكمية التي أعطتها إياها تلك السيدة، وقد طلب منها بوقتها العودة بعد شهر ونصف لكي يتسنى له إعداد الوصفة، قائلاً بأن رامي سيكون بألف خير وصحة لحين انقضاء الوقت المحدد. كما أنه كان ينظر إليها بطريقة غريبة وراح ينطق ببعض الكلمات غير المفهومة فإن طريقته بنطق الأحرف غير مألوفة لديها وقد ظنت أنه يهذي حين نظر إليها طويلاً وصار يهز رأسه ببطء وقد انحنى قليلاً إلى الأمام ونظر مباشرة في عيونها، فجفلت

وتراجعت خطوة إلى الوراء، فقال لها:

– لا تخافي يا «روح الهدى» فإنكِ مباركة وسوف تنالين ما يستحقه قلبك الطيب، فقط اتبعي حدسك ولا تتخلي عن حلمك، ودافعي عن الحق دائمًا ولا تتنازلي عن حقوقكِ، وسوف تتفاجئين كم هي كريمة الحياة.

استغربت كثيرًا من كلامه ذاك، وكيف عرف اسمها فإنها لم تُخبر أحدًا عن اسمها الحقيقي، وتُعرِّف عن نفسها باسم «هدى» فقط، تجنبًا للمبالغة التي يُظهرها البعض عندما يعلمون بأن اسمها «روح الهدى» الذي هو اسم مُركَّب أطلقه عليها عمها الأكبر، فقد أنجبتها أمها بعد أربعة ولادات توفوا جميعهم لدى بلوغهم الشهر الثالث، من دون سبب مفهوم، ولاحقًا لدى بلوغها الثالثة عشر وبينما كان عمها على فراش الموت أخبرها بأنه أسماها بهذا الاسم لأنه يوم علمت أمها بحملها الخامس وكانت تنتظر عودة زوجها من العمل كي تخبره، حدث عطل في المركب الذي يعمل والدها على متنه، وغرق، ومات كل طاقمه، لذا كانوا يعتقدون بأنها لن تعيش وسوف تظل روحًا نائمة في السماء شأنها شأن جميع إخوانها الذين ماتوا وقد كانوا كلهم ذكورًا... ولكنها عاشت.

تنبَّهت «هدى» لشرودها بهزّ رأسها لإبعاد هذه الذكريات المؤلمة طالبة الرحمة لعمها وأمها. يجب الإسراع من أجل العودة للاطمئنان على الصغيرين وتحضير الطعام، ولكن

أولاً لا بد من السير كل هذه المسافة البعيدة للذهاب إلى عيادة الطبيب البيطري الوحيد الموجود في هذه الأنحاء من أجل شراء الحليب للقطة والرمل الخاص، أما فيما يختص بصندوق الفضلات الخاص بالقطط، فعندها دِسْتٌ حجمه يناسب القطة الصغيرة كانت تستعمله لحفظ التين والفواكه المجففة في غرفة المونة، وسوف تتدبر الأمور الآن بالتي هي أحسن، كي لا تُنفق الكثير من المال القليل المتبقي لمصروف هذا الشهر، تحسبًا لأي طارئ، ومن ثمّ الذهاب إلى ذاك الدكان «حانوت العم ونيس» الذي يبعد ذات المسافة التي تبعدها العيادة عن بيتها، إنما بالاتجاه المعاكس، والعودة بأسرع ما يمكن.

– فما الذي ممكن أن يحدث خلال هذه المدة الوجيزة؟

هذا ما كانت تُفكِّر فيه، لأجل طمأنة نفسها ولإبعاد المخاوف عن قلبها.

وصلت إلى عيادة الطبيب، وقد استغرقت وقتًا أطول مما كانت تعتقد، إذ أن صعوبة السير في ظل هذا البرد القارص والجليد الكثيف الذي يشكل خطرًا دائمًا للانزلاق مما أجبرها على التوقف عدة مرات لالتقاط أنفاسها، حتى أنها تاهت قليلاً عن مكان العيادة، فإنها ورغم أنها تعلم مكانها إلا أنها المرة الأولى التي تزورها فيها وتتعرف على الطبيب شخصيًا، وهو شاب في مقتبل العمر أنهى

دراسته الجامعية وتخصصه في الطب البيطري في جامعة العاصمة، ورغم تفوقه والفرص الكثيرة التي أُتيحت له في العاصمة وحتى للسفر خارج البلاد؛ إلاأنه فضَّل فتح عيادته الخاصة في ربوع ضيعته الصغيرة حيث أنه لا طبيب غيره يرضى بالعيشة هنا، فالضيعة لا تتناسب مع هذا الجيل الجديد (على حدّ قوله)، كما وأن الضيعة بحاجة لوجوده، وهذا ما جعلها تشعر بالاحترام نحوه تجاه حُسن نواياه التي تظهر طيبة قلبه واهتمامه بشؤون ضيعته.

أخبرته عن القطة الصغيرة والظروف التي مَرَّت بها، وطلبت منه إعطاءها الحليب والطعام الملائم لها، واستفسرت منه عن بعض الأمور المتعلقة بالقطط من أجل الاهتمام الصحيح بتلك الصغيرة.

سألها عدة أسئلة عن الطريقة التي اعتمدتها لإسعاف قدم الهرة المصابة، وعن مدى عُمق الجروح، وإن كانت القطة قد نزفت الدماء من أنفها أو من أذنيها، فأجابته بالنفي... سألها إن كانت لاحظت أيّ خلل في توازن القطة أو إن كانت تترنح في مشيتها، فهزت رأسها مرة أخرى بالنفي وقالت له بأن القطة صغيرة جدًا بالكاد تبلغ الشهر من العمر وأنها نحيلة كثيرًا، وبأنها لا تدري كم من الوقت ظلت وحيدة من دون أمها.

بثّت له خوفها على القطة وقلقها بحال عدم العثور على

أمها أو إيجاد أية قطة مُرضِعة قد تتقبل تلك المسكينة وتتبناها وترضعها.

طمئنها الطبيب وحاول تشجيعها بأن ما قامت به أنقذ حياة الهرة بالفعل، وأنها تستطيع إعطاءها الحليب بالرضاعة إن وَجَدَت القطة صعوبة بتناوله وحدها، وعلَّمها كيف تُحَضِّرَه لها.

وعندما سألها عن نوع القطة ولون معطفها؛ فوجئ كثيرًا عندما أخبرته بأنها بيضاء بالكامل وبأن شعرها طويل جدًا، فقال لها:

– لا بد أنكِ مُخطئِة إذ لا وجود لهكذا فصيلة من القطط في ضيعتنا إنها من نوع «أنجورا « التركية وهكذا نوع لا يوالف منطقتنا...

••••

سلالة قطط أنجورا التركية نشأت في وقت ما خلال القرن الخامس عشر، وكانت تُعتبر في يوم من الأيام قططًا بيضاء ذات عيون زرقاء أو خضراء، ولسنوات عديدة كانت جميع أنواع القطط طويلة الشعر تُسمى أنجورا، وبعد سنوات عديدة كقطط في القمة عندما يتعلق الأمر بألوان وطول المعطف أصبح من المقبول الآن أن قطط أنجورا

التركية يمكن أن تأتي في مجموعة متنوعة من ألوان وأنماط المعطف، ويمكن أن يكون للقطط الأخرى عيون ملونة ولون شعر متشابه، ويبلغ وزن القطط من ٥ إلى ٩ رطل، ويصل الطول من ١٢ إلى ١٨ بوصة، وجسم طويل ورفيع ونحيل ذو أذنين مدببتين وشعر ناعم وحريري.

ويمكن أن يأتي معطف الأنجورا التركي في العديد من الأشكال والأنماط اللونية، بما في ذلك الأبيض والأرجواني، والشوكولاتة، والكاليكو، والتابي، وأكثر من ذلك، وتُسمَّى «المُستأنسة».

تعرف القطط المستأنسة بأنها جميع أنواع القطط المنزلية بغض النظر عن السلالة، ويُعتقد بأن القطط المصرية القديمة كانت القطط المستأنسة الأولى قبل ٤٠٠٠ سنة.

وكباقي القطط البرية تتمتع القطط المستأنسة بقدرتها العالية على ملاحقة الفرائس والانقضاض عليها بأسنانها ومخالبها الحادة، كما تكون قدرة هذه القطط على الاصطياد في الليل كبيرة، ويعود السبب في ذلك لعيونها العاكسة للضوء والتي تسمح لها بالرؤية بشكل أفضل من الفريسة في الظلام.

كما تتميز هذه القطط برشاقتها وسمعها الحاد، إضافةً إلى ذيولها التي تساعدها في التوازن.

تُعد القطط المستأنسة من آكلات اللحوم التي تنتمي للسنوريات، وبخلاف قط أنجورا هنالك «الفان»، ويعد قط الفان التركي أحد سلالات القطط المستأنسة المميزة، وتتواجد هذه القطط في منطقة بحيرة «وان» شرق تركيا، وتتميز بحجمها الكبير نسبيًا ومعطفها الأبيض الطباشيري، مع تخلُل اللون الداكن للرأس والذيل، كما تتميز أيضًا بعيونها ذات الألوان المختلفة، فقد تكون عيونها زرقاء، وقد يختلف اللون بين العينين فتكون إحداهما زرقاء والأخرى خضراء.

وتتمتع هذه القطط بقدرتها العالية على السباحة، حيث تم رصدها وهي تسبح في بحيرة وان التركية، كما تتسم أيضًا بذكائها وودها الكبير.

وكانت هذه القطط رمزًا لثقافة المنطقة على فترات متقطعة من التاريخ لكل من الأرمن والأكراد والأتراك، كما لا يزال من الممكن العثور على هذه السلالة في منطقتها الأم، إلا أنّ أعدادها قد انخفضت بشكلٍ كبير، حيث تم إجراء مسح لهذه القطط ولم تتجاوز أعدادها أكثر من ٩٢ قط في منطقتهم الأم في عام ١٩٩٢.

كان لقطط الفان التركية حضور كبير في العديد من الثقافات والحضارات التي مرَّت على المنطقة الأصلية التي يقطنها، إذ كان موجودًا في ثقافة الدولة العثمانية

القديمة والدولة التركية الحديثة، كما قام كل من الأكراد والأرمن بنسبة هذه القطط إليهم...

- الأتراك: توجد قطط الفان التركية في الفولكلور التركي، إذ يُقال إن هذه القطة كانت على متن سفينة نوح، وعندما انحسرت مياه الفيضان باركها الله تعالى من خلال رقعة وردية من الفراء على رأسها، ولكن من الممكن أن توجد هذه القطط بمعاطف بيضاء كاملة، وأهم مواقف وجود هذا القط في التاريخ التركي: يُزعم بأن السلطان عبد الحميد الثاني كان يمتلك قط فان تركي في نهاية القرن التاسع عشر. استخدمت هذه القطط كرمز غير رسمي لمدينة فان، إذ يوجد تمثال ضخم لقطة وصغيرها في مدخل المدينة. استخدمت هذه القطط كتميمة لبطولة كرة السلة العالمية التي استضافتها تركيا في عام ٢٠١٠.

- الأكراد: يقطن في منطقة فان عدد كبير من الأكراد، ولقد تمت الإشارة إلى هذا القط كرمز لكردستان بين القوميين الأكراد.

- الأرمن: يعد الأرمن قط الفان قطًا أرمينيًا، إذ كانت منطقة بحيرة فان مأهولة بالأرمن منذ العصور القديمة وحتى الإبادة الجماعية التي حصلت عام ١٩١٥، ولقد قام عدد من الفنانين والكتاب الأرمن بتضمين هذا القط في أعمالهم، فلقد قام «أرسيل غوركي» بنحت هذه القطط

في بدايات عام ١٩١٠، كما قام أحد الكتاب باستخدام هذا القط كرمز لحركة التحرير الأرمنية في روايته.

تُعرف قطط الفان التركي بحبها الكبير للماء، وتتميز بمعطفها الأبيض الناعم وآذانها وذيولها الملونة، كما يمكن التعرف على هذه القطط من خلال هيكل الوجه ومظهر الجسم وشكل الرأس المميز، ومن الممكن أن يقوم الشخص باستشارة خبير في تربية هذه السلالة من القطط حينما يستصعب عليه تحديد إذا ما كان القط ينتمي إلى هذه السلالة أم لا، ويمكن تحديد قط الفان التركي من خلال معطفه، تتميز قطط الفان التركية بمعطفها الأبيض الناعم، الذي يكون قصيرًا خلال فصل الصيف وطويلاً أثناء فصل الشتاء. كما تتميز باختلاف لون ذيولها ورأسها عن باقي جسدها. فذيولها كاملة تشبه الفرشاة، ويختلف لونها عن لون المعطف الأبيض.

ويمكن التعرف على قطط الفان التركية من خلال عيونها، فعادةً ما تكون العيون زرقاء أو ذهبية أو قد تمتلك كل عين أحد الألوان السابقة.

كما تتميز قطط الفان التركي برؤوسها العريضة وأنفها المدور، وبأجساد عضلية كبيرة ذات أكتاف عريضة وعنق قصير.

وتشتهر قطط الفان التركي بحبها الكبير للمياه، فعادةً ما

تحاول غمر نفسها فيه.

وتتميز قطط الفان التركي بذكائها الشديد، فعادةً ما تنشط عند تقديم الحيل الصعبة والألعاب والألغاز وبحبها للتسلق، فعادةً ما تتواجد فوق الأثاث المرتفع كالخزانة والثلاجة.

لا تتطلب قطط الفان التركي الكثير من العناية، ولكن يجب تخصيص بعض الوقت للاهتمام بهذا النوع من القطط، حيث يجب العناية بنظافتها ومظهرها الخارجي، كما يجب مراجعة الطبيب البيطري من حين إلى آخر للقيام بالفحوصات الأولية، وأيضًا العناية بتمشيط معطفها مرة واحدة في الأسبوع على الأقل لمنع شعر المعطف من التلطخ والتشابك. البدء بتمشيط معطف القط وهو في عمر صغير ليعتاد على الفرشاة في المستقبل. والعناية بصحته وحمايته من الطفيليات عن طريق إعطائه الأدوية الوقائية بانتظام بحال التقت أيّة عدوى والحفاظ على وزنه الصحي عن طريق تقديم كمية السعرات الحرارية المناسبة وممارسة الرياضة بانتظام. القيام بتنظيف أسنانه بشكلٍ يومي. والاهتمام بنشاطاته وتخصيص نصف ساعة يوميًا للعب معه. تقديم الألعاب الخاصة بالقطط مثل ألعاب الألغاز لتنشيط عقل هذه القطط. توفير برج تسلق خاص حيث تحب هذه القطط التواجد فوق الأماكن المرتفعة. تركه يلعب في الماء، عن طريق

توفير أماكن مائية مناسبة مثل بركة صغيرة أو بحيرة أو حمام سباحة، إذ أن هذه القطط تحب اللعب بالماء.

يُشبه قط الانجورا التركي من عدة وجوه، فهو قوي مستطيل الجسم إلى حد ما، ورغم نعومته فإنه يتمتع بكتفين عضليين، رأسه منتصبُ بأنف طويل ينتهي بطرف ملوّن وأذنين صغيرتين مغطاة بشعر وردية اللون من الداخل، وعيناه صفراوان ومستديرتان، وذيله كثيف الشعر لونه ضارب إلى الحمرة ومعطفه كثيف وناعمٌ أبيض اللون وقد توجد قرب الأذنين بقع كستنائية أحيانًا. يألف العيش في البيوت، هادئ وذكي، وهو سباح ماهر. تلد الأنثى أربعة جراء في كل مهد تعتني بها حتى تبلغ سن النضج وهو يعتبر من السلالات قليلة الخصوبة. كما وأنها قد تكون من نوع راغدول

القط راغدول له معطف من الفراء إما طويل أو كثيف ومتوسط وخدين عريضين وأنف قصير، عينان زرقاوان يميلان للانحراف الذيل متين وذو فراء، جيد الطباع رقيق من أنواع الانجورا له معطف كثيف وناعم في الأعلى فقط. اللون الأساسي الأبيض علامات كستنائية بالقرب من الاذنين والذيل بحلقات أغمق يشبه الانجورا التركى على ان له اذنين كبيرتين عليهما شعر ولونها وردى من الداخل. العينان مستديرتان زرقاوان. الذيل طويل وكثيف، يعتبر قط منزل هادئ ويسمى القط السبَّاح لأنه يجيد السباحة

يعود إنتاج سلالة راغدول إلى التسعينيات من القرن الماضي (١٩٦٠) في ولاية كاليفورنيا على يد مربي القطط «آن بيكر»، استخدم في ذلك القطط متوسطة الشعر المحلية ذات الأصول الغير معروفة لإنتاج هذه السلالة من «جوزفين»، وهي القطة الأم الأصلية للسلالة والتي كانت بيضاء بالكامل وشديدة الجمال. وبعدما أنجبت «جوزفين» قططًا صغيرة ذات مزاج طيّع وهادئ وطبيعة حنونة وتميل إلى التعرج والاسترخاء عند حملها.

قام بعدها الفرس البورميون بتطوير هذه السلالة. حيث أنشأ البورميون سلالات أخرى مثل قط بيرمان وقط بورما المقدس

وتنحدر جميع راغدول من قطط بيكر خلال تزاوج دادي واربكس الذي يتميز بنقطة ختم بأقدام بيضاء ثنائية اللون والحنطة السوداء وهي انثى تشبه البورمية ذات اللون البني الداكن والأسود.

تحب قطط راغدول الاهتمام وقضاء الوقت مع صاحبها، كما أنها تستعمل صوتها أو مخالبها لجلب انتباهه. وهي قطط مطيعة ومن السهل قيادتها إلى جانب أنها نشيطة وتتميز بقدر عال من الحيوية. وتستخدم صوتها الناعم لتذكر صاحبها بمواعيد الطعام أو لطلب مشاركته في اللعب.

تتميز قطط راغدول بذكاء شديد وتفضِّل المكافأة عند قيامها بسلوك جيد. وتحب مطاردة المكنسة أو قطع القماش عند عملية تنظيف البيت، وتشارك في ذلك للتغلُب على الشعور بالملل.

وهي قطط مُحِبَّة واجتماعية و مُخلصة تجاه صاحبها، وتتميز بالمظهر الناعم والفراء الطويل، إضافة إلى موائها القليل نسبيًا، كما تتميز بكونها صبورة مع الأطفال، فهي نادرًا ما تمد مخالبها عند اللعب، إلى جانب أنها قطط ودودة يمكنها العيش مع القطط الأخرى والكلاب الصديقة.

تعاني من السمنة حيث يزن الذكر منها بين ٥-٩ كغ والإناث بين ٣-٦ كغ في المتوسط. وتعاني من حصى المثانة واعتلال القلب والتهابات المسالك البولية

وهي لا تتمتع بالتنوع الجيني، ولا يمكنها حماية نفسها ضد أي هجوم من القطط الأخرى.

يجب استشارة طبيب بيطري بشأن نظامها الغذائي، كما يجب الاعتناء بها وعدم إخراجها للشارع تجنبًا للأمراض وهجمات الحيوانات الأخرى.

وقد تكون من نوع الشيرازي، ويُعرف القط الشيرازي باسم القط الفارسي، وتمتاز القطط الشيرازيّة بشعرها الطويل، وتُعدّ من أشهر وأقدم أنواع القطط، وأكثر ما يُميّز هذا النوع من القطط هو جسدها الصغير مقارنةً برأسها

الضخم، تتميّز قطط الشيرازي بشعرها الطويل والناعم، وبجسمها الممتلئ، وبأطرافها القصيرة، وأن رأسها عريض ودائري الشكل، وتمتلك ذيلاً قصيرًا وكثيف الشعر، وتتميّز بعيونها الذهبيّة أو الزرقاء أو النحاسية أو الخضراء أو البرتقاليّة، كما يُوجد شعر ناعم سميك حول رقبتها يجعلها تبدو أكثر جمالاً، وتأتي القطة بعدّة ألوان فيمكن أن تكون ذات لون واحد مثل الأبيض أو الأسود أو البيج، كما يُمكن أن تكون ذات ألوان متداخلة مثل القطط ذات اللون الرمادي مع الأحمر والبني والأزرق، أو لون أبيض مع أسود، أو لون بيج مع أسود وأحمر وغيرها الكثير من الألوان المختلفة، ومن الجدير بالذكر أنّ القطط الشيرازية ذات اللون الأبيض والتي تمتلك عيونًا زرقاء غالبًا ما تكون صمّاء.

وتُعدّ القطط الشيرازية من القطط متوسطة الحجم ويتراوح وزنها عادةً ما بين ٣-٥ كيلو غرامات. وهي من الحيوانات الهادئة والأليفة والتي تُفضّل أن يعاملها من حولها بلطف، كذلك فهي من الحيوانات التي تقضي أغلب يومها في الجلوس على الأريكة أو بالقُرب من المدفأة للحصول على قسطٍ كافٍ من النوم والراحة، كما أنّها تُحبّ اللعب مع الأطفال طالما داعبوها بلطف دون شدّ ذيلها أو جرّها بعنف.

ويُعدّ القط الشيرازي من القطط التي تقضي وقتها بمفردها، لكنّها بالطبع تسعد بوجود مالكها حولها، وعند

اقتراب مالكها قد تُرحّب به عن طريق المواء الهادئ أو قد تجعل عينيها تتحدّث عنها.

تحتاج القطط الشيرازيّة إلى تسريح شعرها يوميًّا على عكس بعض السلالات الأخرى؛ إذّ يجب استخدام مشط معدني عريض الأسنان، ولا تُستخدم الفرشاة إلّا لنفش شعر القطة، ومن الجدير بالذكر أنّه يجب تسريح الشعر بعد إزالة العقد الموجودة فيه، إذ إنّ العُقد تتجمّع سريعًا تحت الإبط ووراء أذني القط الفارسي إضافةً إلى الساقين والأرداف، أمّا عن طريقة التعامل مع العقد، فيجب عدم شدّ شعر القطة للخارج بالمشط لأنه يؤدي إلى خلع الشعر من مكانه ممّا يخلق بقعًا صلعاء داخل شعر القط، وإنّما يجب محاولة تفكيكها باستخدام الأصابع بلطف، مع الحذر حتى لا تتألم القطة وإن القطة الشيرازية تمتلك بشرة دهنيّة تُسبب اتساخ شعرها، لذلك يجب المحافظة عليها نظيفة.

تُعدّ القطط الشيرازي المعروفة بالشعر الطويل نفس سلالة القطط المنزليّة ذات الشعر القصير والمتوسط لكن الاختلاف الوحيد بينها هو طول الشعر، إذ إن جميعها من أنواع قطط الشيرازي.

تُلقّب القطط الشيرازية بلقب القط الأمريكي طويل الشعر، تتميّز القطط الشيرازية بشعرها السميك، أمّا القط

الأمريكي قصير الشعر فيتميّز بشعر قصير وأنيق. تظهر الدموع باستمرار في عيون القطط الشيرازية ممّا يُسبب تلطّخ المنطقة الموجودة أسفل العين، ولتجنّب هذا يجب مسح المنطقة الموجودة أسفل العين يوميًّا باستخدام قطعة قماشية ناعمة حتى لا تظهر أي بُقع سوداء أو بنيّة. ويجب عرض القطة مرة سنويًّا على الطبيب البيطري وإجراء فحوص سنويّة لها. كما يجب التأكّد من تنظيف أسنانها بالفرشاة بانتظام للحفاظ على أسنانها ولثتها؛ إذّ إنّ عدم الاهتمام بها قد يُسبب لها الالتهابات التي من شأنها أن تؤثر على القلب.

يجب توفير ألعاب تفاعليّة للقطة لتشجيعها على ممارسة الرياضة وحتى لا تشعر بالملل. وكذلك توفير عمود الخدش حتى تستطيع القطة الاستمتاع بخدشه وحتى لا تخدش الأثاث.

الخُلاصة تُعدّ القطط الشيرازية من أنواع القطط الهادئة ذات الشعر الطويل وهي من أقدم أنواع القطط، كما تتميّز بجسمها الممتلئ، وأطرافها القصيرة، وحجمها المتوسط نسبيًّا، وبأنها قطة لطيفة يُمكن للإنسان اقتنائها فهي تُحب الأطفال ويُمكنها التعامل معهم، إلّا أنّها تحتاج إلى عناية كبيرة بسبب شعرها الطويل الذي قد يتساقط وقد تظهر فيه العقد لذا يجب تسريح شعرها يوميًّا، ويجب كذلك المحافظة على نظافتها، كما ويجب أخذ القطة إلى

الطبيب البيطري مرة سنويًّا على الأقل، وتوفير الألعاب التفاعليّة لها حتى لا تشعر بالملل فإن القطط كما الأطفال الصغار يمكن أن تشعر بالضجر ورغم حبها وتعلقها بروتينها المعتاد إلا أنها تحب التغيير بين فترة وفترة شرط أن لا يؤدي هذا التغيير إلى شعورها بالتهديد أو الخطر من أي نوع وإنها قد تشعر بالتوتر إن قمنا بتغيير في برنامجها اليومي وبشكل مفاجئ وقد تخاف وتحاول الاختباء في أي مكان يشعرها بالأمان والهدوء لهذا يجب التقيد براحتها النفسية أولاً والتأكد من الأشياء التي تفضلها هي مع مراعاة مساحتها الخاصة إذ معروف عن القطط حبها لمساحتها الشخصية ورغبتها أحيانًا بالابتعاد والانفراد بنفسها لبعض الوقت.

كما وإن القطط مخلوقات حساسة جدًا وتتأثر بمحيطها بشكل مباشر بالأخص بأنها قريبة كثيرًا من مُربيها ومتعلقة به ويمكن لحالته النفسية أن تنعكس عليها بشكل سلبي أو إيجابي حسب تصرفاته وإيحاءات جسده وتفاعله معها أو اعتكافه بعيدًا عنها فإن هذا كفيل بإحزانها وانطوائها أو إسعادها وحضورها والعكس بالعكس، وبالتالي إننا نؤثر بتصرفاتنا بشكل مباشر بقططنا، و الاهتمام والرعاية التي نوليها لها هي كل الأهمية للمحافظة عليها وحمايتها. ومن هنا يأتي دورنا من منطلق حبنا واحترامنا لها كونها تتكل علينا بشكل مباشر لحمايتها وتأمين جميع حاجاتها وإعطائها الحب الذي تحتاجه والرعاية اللازمة والوعي لتدارك أي

سوء أو مرض قد يصيبها فإنها لا تستطيع إخبارنا إن كانت تتألم ومعروف عن القطط كتمانها وإخفاءها مرضها فإنها تتألم بصمت وتعزل نفسها بعيدًا عن الكل ويجب مراقبتها وملازمتها دائمًا لمساعدتها عندما تحتاجنا.

••••

وبعد هذا الحديث المطوّل، سأل الطبيب «هدى» إن كانت ستُبقي القطة عندها بعد أن تتحسن حالها، فأجابته بأنها ستحاول العثور على أمها وسوف ترى ما سيؤول إليه الأمر، وأكّد الطبيب استعداده دائمًا لأي شيء قد تحتاجه، فشكرته هدى وأخذت الأغراض وخرجت من العيادة بعد أن شرح لها الطبيب عن كيفية تحضير الحليب وكمية الرمل الذي يجب عليها وضعها في الصندوق الخاص بفضلات القطة الذي أهداها إياه من دون مقابل، كما أنه أعطاها علبتين من الحليب السائل الجاهز لتقديمه فورًا وطلب منها إعلامه إن أحبته القطة وإن لم يسبب لها أية مشاكل كالإسهال أو التقيؤ، وبأنه سيعطيها المزيد، قائلاً بأن هنالك تاجر تبرع للعيادة ببعض المال وبمجموعة كاملة من طعام القطط والكلاب الجاف منها والرطب وببعض مستلزمات الإسعافات الأولية.

وتشجيعًا منه لاهتمامها بالقطة ومساهمةً منه بالمساعدة في الاعتناء بها ومشاركتها في نفقاتها؛ قدَّم لها مكمِّلاً غذائيًا للصغيرة وطلب منها إعطاءها إياه مرةً في اليوم، شكرته كثيرًا، وأكَّدتْ له بأنها سوف تظل على تواصل معه بخصوص القطة بحال طرأ أي جديد في صحتها.

••••

لفح الهواء وجه «هدى» بلسعة برد قارصة لدى خروجها من باب العيادة، فأحكمت إغلاق معطفها حولها ومشت وهي تفكر بزوجها وبالأشياء التي تحدث معه والتي حملته على شرب الكحول من جديد، لا بد وأنه يمرّ بأزمةٍ ما حتى يخلف بوعده لها، وهذا ما سوف تسأله عنه فور عودتها إلى البيت، إذ ليس مقبولاً بتاتًا أن تسمح له بوضعها بذات الظروف الصعبة مرة أخرى. هي تحبه كثيرًا وليست امرأة متطلبة، إنها قنوعة تكتفي بالقليل ولا تحمِّل زوجها أوزانًا لا يقوى على حملها، ودائمًا تقف إلى جانبه وتؤازره بكل الظروف التي يمّر بها، وغالبًا ما تدعمه وتحترمه وتهتم به، إلاأنها لن تسامحه هذه المرة إن هو عاد للإدمان من جديد. إن حياتها في ظلّ الواقع الصعب للمعيشة ومرض «رامي» وتأمين علاجه وأدويته التي تتعب أحيانًا للعثور عليها

والأزمات النفسية التي يمر بها زوجها وحالات الغضب التي تسيطر عليه من دون سبب مفهوم وتصرفه المُستفز والذي يفرض نفسه عليها بطريقة مربكة وقاسية أحيانًا وانطوائه على نفسه المتكرر؛ لهو مُتعب حقًا بالأخص بأنها الوحيدة المتبقية من عائلتها على قيد الحياة، وليس عندها أحد لمشاركتها همومها ومشاكلها، وعائلته بعيدة عنهم وأغلبية أفرادها لازالوا غاضبين منه بسبب تصرفه غير المسؤول بالماضي، والذي سبَّب لهم الكثير من الإحراج بين العائلة والمعارف، وهذا وحده، كفيل بإحزانها، أن يكبر رامي بعيدًا عن العائلة الوحيدة المتبقية له من أقارب والديه، إلاأنه ليس بيديها أية حيلة، فقد حاولت كثيرًا بالماضي وبذلت الكثير من الجُهد في سبيل المصالحة بين العائلتين، إلاأن جميع محاولاتها باءت بالفشل، وفشلت جميع مساعيها للمّ الشمل، وعلى أمل أن تهدأ النفوس يومًا ما وتعود المياه إلى مجاريها بين «رافي» وأهله.

كانت سارحة بأفكارها لدرجة أنها لم تتنبه لوقوفها صدفةً أمام حديقة ذاك البيت المهجور، أحسَّتْ برعشة برد أرجفتها حين نظرت إلى نافذة تلك الغرفة في الطابق العلوي، حيث وقعت المأساة والتي راح ضحيتها طفلان بريئان لا ذنب لهما سوى أنهما أبناء هذين المجرمين، إذ يقال بأن المرأة خانت زوجها، وعندما اكتشف الأمر فقد عقله وهجم عليها بطريقة همجية وحشية وقام بضربها

وخنقها حتى الموت، وأغرق قطة وولديها في بركة الحديقة الصغيرة وتركهم عائمين على وجه الماء. ولم يكتفِ بهذا ولم يشفي غليله حتى قام بحرق البيت بأولاده النيام، إذ ظن بأنهم قد لا يكونون من صُلبه، ثم قتل نفسه بإطلاق النار على راسه من بندقية صيد أمام عتبة الباب، ولازالت آثار ذاك الحريق واضحة على تلك النافذة وكأن ما حدث منذ أكثر من عشر سنوات؛ حدث بالأمس القريب.

من دون انتباه خطت نحو ذاك البيت متخطية الحديقة واليافطة الكبيرة المكتوب عليها (للبيع أو للإيجار) والمدخل الرئيسي مرورًا بالشريط الأصفر الذي بهت لونه وتمزق وبالكاد معلق بطرف واحد (خاص الشرطة، ممنوع الدخول).

صعدت السلام القليلة التي تفصل الطابق الأول عن تلك الغرفة، شعرت هدى بنارٍ تحرق فؤادها، وبصقيع الموت يغلّف جدران تلك الغرفة، وبحزن عميق أدمع عيونها وألهب وجدانها بإحساس غريب أيقظ في داخلها شعورًا جديدًا ما شعرت به يومًا إلاأنها لم تستطع تحديد ما هيته.

تسمَّرتْ في مكانها لا تقوى على الإتيان بأية حركة، وكأن حُرمة الموت لها أسرارها ورهبتها وقدسيتها، فوقفت بكل ابتهال وبكل خشوع وضمَّت يديها سويّة، وراحت تتلو الصلاة.

لم تعي كم من الوقت مضى على وقوفها هناك، وكأن الوقت قد توقف فجأة، وكأن الساعة قد خاصمت تكّاتها، وكأن عقاربها تعاقب الزمن، فتوقفت عن دورانها نافيةً إياه إلى ما بعد الوعي، إلى ما وراء الإدراك، إلى غياهب اللامكان واللازمان واللاوعي.

توقف كل شيء ووحدها رهبة المكان طغت على كل شيء وحضرت أطيافٌ من العالم الآخر ترفرف في فضاء تلك الغرفة فاردةً أجنحتها البيضاء بأخيلة من نور، شفافة ناصعة، امرأة وولد وفتاة وثلاث قِطط.

كانت «هدى» وكأنها مسلوبة الإرادة، تقف هناك من دون مبادرة وكأنها مقيّدة، تقف هناك، تنظر ولا ترى، تُصغي ولا تسمع شيئًا سوى همهمات خفيفة وكأنها تأتي من البعيد البعيد، وكأنها سراب وأمواج تتدافع وتتلاشى عند أقدامها، وكأنها صرخات مكتومة وغصات مكبوتة تفلت من حنجرتها بأنّاتٍ مؤلمة صامتة والخيالات تدنو منها، أطياف شفافة من غياهب الماضي الساكن في فضاء تلك الغرفة، ونزاع يشتدّ حينًا ويتلاشى حينًا، تجاذب متنافر يتلو فرائض السكون بصوتٍ شبه معدوم وضباب يملأ المكان، فيُظلِم، وجوّ يعبق برائحة الدخان لونه حالكٌ أسود يغلّف الأسطح وينتزع الروح من داخل الأبدان عن سابق إصرار وترصّد، ونزعة من الإيمان بتمجيد الخالق وحمده، على نعمة الحياة. على قدرة التحمل والتجلّد

بالصبر والاتزان لأمور ليست من صُنع الإنسان ولا يرضى عنها الزمان بما كل ما حمله من ثقل وأوزان كافية لدحض أي عنفوان، كافية لكفّ يد تهمّ بصفع خدّ تناوب على تحمل الضربات وعدها.

تشتُت وضياع في دهاليز اللامنطق في دوامة اللاوعي في وديان سحيقة من الأذى النفسي في متاهات النفس البشرية وقساوة بدنها وسواد مضمونها وعفن معتقداتها التي تفرض النميمة وتغلب الإدراك وترمي الوعي في مستنقع من الأضداد غير مكتمل الصفات غير متوافي الشروط.

قدر مجحف وقوانين بالية وأحكام عرفية ساقطة، غضب جامح، غضب قاتم يتلذذ بطعم الانتقام له نكهة الحقد الممزوج بالدم ورائحة العدم كثقوب سوداء تنخر العظم من خلال هيكل الروح التي تتنفس بين طيات الجفون، تسبح في بحر أمواجه عاتية، قاتمة، تجترّ الخبث من أعناق الوضوح، تبتر ما بقي من روح داخل العيون وما زال هناك من صبر داخل الأفئدة.

صُدفة غريبة ما كان لها من وجود قبل يوم مضى، وما كان يُحسب لها أيّ حساب قبل بضعة ساعات وما الذنب الرهيب الذي أهداها إياه، الثلج؟ ما الإرث المهيب، الذي ما لبث أن تكوّن داخل النَفِس؟

فجأة لمعت السماء وأضاء البرق الغرفة بوميض غاضب من ركن قريب حيث تقف «هدى»، ورأت عيونًا مضيئة تنظر إليها من خلال عتم الزاوية اليمنى، وشعرت بالخوف، وللحظة أرادت الركض والهروب بعيدًا إلاأنّ قدميها لم تقويا على الحراك من كثرة الفزع الذي أحسّته وكأن الهيكل القاتم لذاك الجسم القابع في العتم بدأ بالتقدم نحوها وصوت أنفاسه أرعبتها وكأنه يقذف من أنفه دخانًا ساخنًا، وكأنه سيحرقها بألسنة النار التي سينفثها إن فتح فمه وصوت هسهسة مخيف طغى على زمجرة الرعد الذي أصبح متواصلاً الآن.

كان التهديد يزداد، ومع كل ثانية كانت تشعر «هدى» خلالها بأن حياتها في خطر، وأنه في أية لحظة سوف ينقض ويمزِّق جسدها بأنيابه.

تجمدّت في مكانها... من أين أتى هذا المخلوق الغريب، المخيف؟ هو ليس حقيقيًّا، لا بدّ وأنها تتخيّل، من غير المعقول أن يكون حقيقيًاّ! قد يكون الضغط النفسي الكبير الذي تعيشه في هذه الفترة، أثّر على أعصابها حتى أصبحت تتوهم أشياء لا وجود لها.

لمعت السماء من جديد، وزعق الرعد كانفجار مدوّي هزّ كيان «هدى» من الأعماق، فوضعت يديها على وجهها

تغطي عينيها، وقد سقطت على ركبتيها في وهن أضعف جسدها بالكامل، وشعرت بأن حياتها شارفت على خاتمتها، وبأنه أخر يوم من أيامها يمضي في سبيله الآن، وبأن وقتها قد نفذ منها ولم يعد بالإمكان الهروب من المحتّم.

وفجأة حضر الماضي فارضًا نفسه بذكريات الطفولة المنسية...

كانت يومها في الخامسة عشر، عائدة إلى البيت بعد نهار دراسي طويل مليء بالامتحانات النهائية الرسمية، منهكة من السهر والدرس لعدة ليالٍ متتالية... وبعد المدرسة طلبت منها أمها التوجه إلى الدكان وإحضار الخبز والخضار وأخذهم لجدتها. وبالفعل توجَّهت «هدى» إلى منزل جدتها الذي يبعد حوالي رُبع ساعة عن بيتهم.

وفي طريق العودة كانت الشمس تلملم أذيال ثوبها وتهمّ بالرحيل، وكانت «هدى» تخاف كثيرًا من الخروج بمثل هذا الوقت، وتُفضِّل ان تكون داخل البيت عندما يبدأ العتم بغزو الأرجاء... وبينما أوصلت الأغراض لجدتها ورفضت عرضها بتناول الشاي والكعك معها بحجة أنّ أمها تنتظر عودتها... والحقيقة هي كانت خائفة من السير وحيدة في الظلام، فقد كان يُشاع أنه يوجد «شيبة» تقوم بمهاجمة من يسير وحده في الليل، وأنها ضخمة ووجهها مخيف، وعيونها ترسل اللهب، فإذا ما نظر أحد في عيونها فسوف

يتحوّل إلى صخرة، وأنها تلاحق كل من رآها أو مرَّ قُربها، ولا تتراجع قبل أن تقتلع عينيه من وجهه كي لا يرى، وتأكل لسانه كي لا ينطق.

••••

هنالك بعض الأخبار التي يرويها البعض ممن يصرون بأنهم بالفعل شاهدوا «الشيبة» وهي تلتهم عِجلاً كبيرًا بقضمة واحدة... وآخرون يخبرون بأنها هجمت على راعي كان يسرح بغنماته بعد الأصيل وأنها قسمته إلى قسمين بضربة واحدة... والكثير الكثير من الأخبار والشهود العيان الذين كانوا يختفون واحدًا تلو الآخر على حسب الأقاويل بوقتها.

يُقال إن حيوان الشيبة هو حيوان مفترس ينتج عن التزاوج بين أنثى الضبع وذكر الذئب له خصائص تميّزه في القوة عن الأبوين، لذلك نجد أن الذئب والضبع يخافان منه فإنه الأكثر قوة وشراسة. وهو حيوان نادر وغير منتشر حيث أن التزاوج بين الضباع الذئاب أمر لا يحدث سوى نادرًا جدًا.

وهو يتميز بالذكاء الحاد والمكر والدهاء، وهذا يجعله متفوقًا في صيد فرائسه بقوة شديدة، ويقوم بالافتراس لمجرد إشباع غريزته وليس عند الشعور بالجوع مثل باقي

الحيوانات المفترسة، صوته مخيف ويُعتبر كابوسًا مرعبًا للبدو في الصحراء العربية، ويستطيع أن يميز الإنسان من خلال رائحته ومهاجمته عندما يكون وحيدًا.

وهناك بعض الاعتقادات بين العلماء بأن الشيبة هو في الأساس حيوان (**synoductus**) الذي انقرض منذ مليوني عام، يتشابه مع الضبع إلاأنه يختلف عنه في الحجم، فهو ذو حجم عريض وله شعر متطاير وأكتاف عريضة وعنق صغير للغاية. وهو من الحيوانات النادرة التي لا يُعرف عنها الكثير.

يُعد من الحيوانات التي تتسم بالقوة الخارقة، فهو أقوى من الذئاب والضباع وله قدرة فريدة وغريبة على قسم الفريسة. يُطلق عليه «نبّاش القبور»، وقد سرد البعض قصصًا عنه بأنه مسؤول عن حماية القبور وذلك لقوته الخارقة.

بينما أشارت العديد من الآراء العلمية إلى أن حيوان الشيبة مجرد خُرافة، فلا يمكن أن ينتج حيوان نتيجة تزاوج بين ضبع وذئب وذلك لاختلاف الكروموسومات بينهما.

يُقال أيضًا بأن هذا الحيوان لا يجوب الطرقات والشوارع، لكنه يقوم بحماية المقابر والمعابد من سرقتها وذلك منذ العصور القديمة.

وأيضًا يُقال بأن هناك امرأة متزوجة جميلة جدًا تتحول في

الليل إلى شيبة وتقوم بنبش القبور برفقة أختها واستخراج الجثث وأكلها وتعود متسخة عند الفجر، وعندما كشف أمرها زوجها، هربت من دون قتله لأنه والد أبنائها.

وفي مصر يعتقدون بأنها تحرس قبور الفراعنة وتقتل كل من يقترب منها، وهناك بعض الصعيديين لازالوا لحد الآن يفتخرون بأن جدتهم شيبة.

نبّاش القبور في تونس، يرتبط بالضرب المبرح وهو العقاب الذي يواجه سارق القبور جراء أفعاله.

في عام ٢٠٢٠ ظهر نبّاش القبور في الجزائر وفي اليمن، ويُعتقد بأنه كان يحمي مقابر المسيحيين واليهود لأنهم كانوا يُدفنون مرتدين أجمل الملابس والمجوهرات والحُلي.

ويقال بأنّ نباش القبور له صوت مخيف جدًا ومشيته مرعبة لا تناسق فيها، وإنه من النوع النادر جدًا والمهدد بالانقراض المؤكد لأنه لا يتكاثر أبدًا وهو يعيش وحيدًا ولا يتزاوج لذلك هو سريع الانقراض وليس معروفًا. ويُقال أيضًا بأنه تم نقل هذا المخلوق المرعب من مصر إلى سائر البلدان العربية عبر التُّجار المدعومين من قبل رؤساء المال والنفوذ المعدومي الوعي والإدراك والضمير حيث قاموا بعرض هذا المخلوق للعامة والمُتاجرة به وتقاضي مبالغ ضخمة من المال مقابل السماح للزوار بمشاهدته وأخذ الصور له على أنه «حيوان هجين» يثير الذعر.

في مصر، كما مختلف الأماكن والعواصم عادة ما ترتبط قصص الرعب للأطفال بحيوان غير معروف ولم يره أحد كثيرًا، وهو «السلعوة»، لكنه يتصدر حديث المصريين كل فترة زمنية بإدعاء البعض ظهوره في إحدى القرى أو المحافظات. فمثلاً تصدر اسم «السلعوة» حديثهم على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، بعد إدعاء بعض المواطنين في محافظة المنوفية ظهورها ما دفع الجهات المسؤولة إلى تشكيل لجنة للبحث عن هذا الحيوان الغريب الذي يثير الجدل بين حين وآخر.

وحسب خبراء فإن «السلعوة» تُشبه الذئب والكلب والثعلب في هيئتها، وتتميز بسرعتها وسواد لونها وأذنيها كأذني الثعالب وقدميها الأمامية قصيرة عن الخلفية، وتتميز بالذكاء والمكر والقدرة الكبيرة على الاختباء والترصد وتجمع صفات الكلب والذئب والثعلب وابن آوى. ويُسمَّى أيضًا الذئب الإفريقي في قارة إفريقيا، ويُطلق عليه البدو اسم «الشيب». وهو شرس تجاه الحيوانات مثل الأغنام والطيور، لكنه يهرب من الإنسان في العادة، وقد يهاجم البشر إذا كان مسعورًا. وهذا الحيوان لا يظهر إلا في الليل ويأكل الأغنام الصغيرة والطيور وغيرها، وأعداده قليلة للغاية، ولا يمثل تهديدًا على الإنسان.

وارتبط كائن السلعوة أيضًا بأساطير الفراعنة، حيث كان يُردد بين المصريين أنه مخلوق يهاجم كل من يحاول أن

يقتحم حرمة المعابد والمقابر ويحميها، وأنه يشبه الذئب والثعلب ويتمتع بصفاتهما، بالإضافة إلى قصص الجدات والأمهات عن هذا الحيوان لتخويف الأطفال من الخروج أو الابتعاد عن المنزل، وهو ما اعتبره العديد من الباحثين، أساطير لا أساس علمي لها، وأنه لا وجود لحيوان يُدعى «السلعوة» علميًا، وغير مصنف من قبل علماء الحيوان.

ومنذ ستينيات القرن الماضي، تكرر ظهور هذا الحيوان المزعوم في قرى مصر خاصة في محافظة الصعيد، ليصبح في كل مرة حديث المصريين، وكانت مدينة أرمنت بمحافظة الأقصر جنوب مصر لها النصيب الأكبر في الحديث عن ظهور هذا الحيوان ومهاجمة المواطنين هناك، حيث زعم الأهالي ظهوره بداية عام ١٩٩٦.

وفي عام ٢٠١٨، كانت هناك واقعة أثارت جدلاً واسعًا بين المواطنين، بعد إعلان أهالي إحدى قرى محافظة المنيا جنوب مصر، عن تمكنهم من قتل سلعوة بإطلاق النيران عليها، بعد أن هاجمت الأهالي في قرية تونة الجبل التابعة لمركز ملوي جنوب محافظة المنيا، تسببت في إصابة ١٢ شخصا من بينهم أطفال تم تحويلهم للمستشفى هناك.

وسبق هذه الوقائع حالات ظهور لهذا الحيوان منذ تسعينيات القرن الماضي في عدة مناطق منها المرج بالقليوبية ومحافظة أسوان وقرية الشبراوية بمحافظة

الشرقية والمقطم بالقاهرة.

كما وظهرت عدد من حيوانات نادرة تسمى بحيوانات الشيب في بلدة حقليت في لبنان، وفوجئ الأهالي وذعروا فور رؤية هذه الحيوانات النادرة والمرعبة والدموية والمفترسة أيضًا، وهو نوعٌ من فصيلة الذئاب، وهو حيوان مفترس له أنياب طويلة وأسنان حادّة جدًا، حيث يستطيع أن يفترس الكلاب وحتّى الجمال بكلّ سهولة.

كما انتشر هذا الحيوان في وسط الجزيرة العربيّة، وتحديدًا في منطقة حائل الواقعة في شمال غرب المملكة العربيّة السعوديّة، وساد الاعتقاد بين الناس بأنّه انقرض عن الوجود، إلّا أنّه وبعد مدّة من الزمن ظهر في الضواحي المحيطة بمنطقة الفلّوجة في العراق.

يعتبر حيوان الشيب أحد أندر الحيوانات في العالم والسبب وراء ذلك انه حيوان عقيم لا يتكاثر أبدًا وهو حيوان هجيبن نتيجة تزاوج أنثى الضبع (الأسروكون) مع ذكر الذئب، ويأتي هذا التزاوج عندما تكون أنثى الضبع في موسم التزاوج ولا تجد لها ضبعًا فتلجأ للتزاوج مع الذئب إن لزم الأمر، ويعيش الشيب وحيدًا بعكس الذئاب التي تفضّل أن تعيش في قطعان، كما أنّه لا يتزوّج أبدًا لذلك فهو سريع الانقراض.

ومن الاعتقادات العلمية السائدة بين العلماء هو أنّ

حيوان الشيب أو السلعوة أو الشيبة هو نفس الحيوان الذي انقرض منذ مليوني عامٍ وهو السينودوكتوس، والسبب في ذلك هو تشابه مزاياه مع مزايا الذئب أكثر من مزايا الضبع، ويتواجد حيوان الشيب الهجين بكثرة في مناطق جنوب الأردن، وقد عانى منه الرعاة البدو بسبب افتراسه لمواشيهم ودوابهم.

••••

كانت «هدى» جاثمة على الأرض والأفكار تمّر أمامها وكأنها صور ومشاهد مبعثرة وكأنها تشاهد حياتها الماضية من بعيد، وكأنها تقف مُتفرِّجة على ماضيها البعيد القريب.

وللحظة استسلمت لذاك الفراغ الساكن الذي انتشلها من واقعٍ أحسَّت معه بأنها غريبة عن ذاتها وبأنها مجرد دخيلة على حياتها، وبأنها ليست باقية وكلها بضعة دقائق وسوف تمضي في سكون كما عاشت دومًا في سكون، ستمضي في هدوء اللحظة في هدئة القانع في مصيرٍ مجهول المستسلم للواقع بكل كيانه وبكل قنوع.

لكن ماذا لو أرادت رفض هذا الواقع المحتوم؟ ماذا لو أرادت التمسك بالحياة؟ أينها من قوة عظمة تنتشلها من يأسها ومن استسلامها؟ أينها من قدرة سحرية تحولها

إلى جنية أو ساحرة تمكنها من الانتقال بالزمن إلى غير زمن ووقت غير هذا الوقت، أو تُخفيها من الوجود وكأنها ما كانت وكما هي الآن، لا تعود.

إلا أن ما تتمناه مستحيل، ولا بد لها من خوض غمار معركتها مع الحاضر الآني رغم الخطر المحدق، ورغم عدم فهمها للذي يحدث أو الذي حدث سابقًا وأدَّى إلى ما هو عليه الوضع الآن.

ظلمت الغرفة أكثر، وخُيِّل لـ«هدى» أنه يوجد أحد في الغرفة معها. وأضاء البرق من جديد وعكس طيفًا على الحائط القريب، وكأنه خيال يمدّ ذراعين طويلين يريد الإمساك بها، فتتراجع بتلقائية وتلتصق بالحائط، ويضرب الرعد من جديد فتضغط على أذنيها.

(هو القرين)... فكرت، هو الشيطان المُوكل بكل إنسان لإغوائه وإضلاله، هو شيطان مُسلّط على الإنسان، يأمره بالفحشاء ويُنهيه عن المعرفة ويُعمي عيونه عن قيمة الإنسان في عيون الله. لكل إنسان قرين متفرد فلا يوجد قرين لشخصين ولا قرينين لشخص واحد. فجأة أحست ببُعدها عن المادة الحسية وكأنها خارج نطاق الجاذبية وكأنها روح هائمة في فضاء لا مُتناهٍ... هل يُعقل بعد كل هذه السنوات التي مضت، عادت الشيبة للقضاء عليها وأخذ عيونها وأكل لسانها لأنها رأتها عندما كانت صغيرة؟!

إن هذا الشر الذي يعبق في أجواء البيت يظهر بهيئة بشعة على شكل الشيبة، وكان يقال في الماضي بأن الشيبة هي قطة ضخمة وجهها مخيف جدًا وبأنها تلاحق الفتيات وتشوِّه وجوههن بمخالبها وتقتلع ألسنتهن وأسنانهن، وبأنها قطة نجسة تسبب الأذى وتلعن القرى والأماكن أينما وُجِدَت، وبأنها تُسبِّب العقم للفتيات بحيث أصبح الرجال لا يتقدمون لطلب الزواج من الفتيات التي يُقال عنهن بأنهن تحببن القطط أو تتعاطفن معها، ولهذا زادت نسبة العوانس، حتى أن هناك البعض من من لا يملكون أيًّا من رجاحة العقل أو المنطق ولا بعضًا من الضمير في وجدانهم أو القليل من الرحمة في قلوبهم قاموا بقتل القطط وتسميمها أو تدشيرها في البراري والغابات المقفرة.

غير أن هنالك البعض الذين لا يزالون يحتفظون بإنسانيتهم كانوا يدافعون عن القطط ويحاولون نشر الوعي بين السُّكان بأن القطط ليست نجسة ولا تجلب الشؤم، وبأنها مخلوقات سماوية وأرواح بريئة طيبة عفوية موجودة بيننا منذ آلاف السنين.

••••

من المعروف أن الفراعنة كانوا يولون اهتمامًا خاصًا بالقطط، والتي وُجِدت حصريًا في مصر عند الفراعنة حوالي ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، لكن بعض التجار اليونانيين الذين لاحظوا أن القطط صيادون ماهرون للفئران في مصر، قاموا بسرقة البعض منهم لوضعهم على مراكبهم، وهكذا انتشرت القطط في أوروبا.

وبعد اكتشاف الميزات الشفائية للقطط تبناها الفرعون، كمصدر للشفاء، لذلك احتفظ الفراعنة بها في مقام رفيع. الشعب لم يكن يحق له اقتناء القطط فقط الفرعون على اعتبار ان القطط هي من سلالة رع.

عندما تظهر القطة على باب منزلك فإنها تأتي لمساعدتك، ولهذا في لحظة معينة تقبّل هذه القطة وأدخلها منزلك.

القطة هي من تفرض نفسها على صاحبها عبر اللف والدوران حول قدميه، وتحاول لاحقًا الدخول إلى غرفة نومه. إنها تعمل كمحقِّق، لكن لمعرفة الطاقة في الأمكنة.

وعندما تعلم القطة وجع أو ألم عند صاحبها فإنها تبدأ بالخرخرة وقد تمت الملاحظة ان الألم يختفي. وخرخرة القطط هي ذبذبات أو ترددات تتراوح بين ٢٥ و٥٠ هرتز، وهذا التردد بالذات يحفز الخلايا المتضررة ويعيد لها التوازن، ولهذا تُعتبر القطط «أطباء طبيعيين»، وقد

لوحظ أن لديها القدرة على شفاء الإنسان في الحالات التالية: العظام، القلب، الجروح، العضلات، الضغط. وهذه ميزة للقطط لا يعرفها الكثير من الناس.

خرخرة القطط لا تقتصر على شفاء الإنسان، بل إنها الطريقة لشفاء ما يصيبهم من جروح أو كسور.

تجلس القطة في البيت في نقاط معينة حيث الطاقة جارية، وتبتعد عن الأماكن حيث الطاقة فيها تكون راكدة.

كان وجود القطط ضروريًا عند المرأة الحامل لحمايتها، فهو حيوان روحاني، لا يسعى فقط للطعام، بل يعمل على النظافة الطاقية في البيت أو الشارع أو المدينة، ويُعتبر الحارس أيضًا.

يمكن للقطط أن تنام طيلة النهار، وهذا يدل على أنها استنفدت طاقتها، وذلك بامتصاص الطاقة السلبية.

وفي بعض الأحيان تُركِّز نظرها لجهة معينة، وتلاحظ شيئًا، ولكننا نحن لا نراه. فهي تلتقط ذبذبات معينة عبر أنتينات شواربها، وترى كائنات غير مادية من بُعد آخر.

ويذهب البعض إلى أن القطط ترى أرواحًا تعود من الموت إلى البيت الذي كانوا يقيمون فيه، وقد لوحظ أن القطط تلازم الميت طيلة فترة بقائه في البيت. ولهذا أُعتبرت القطط أنها وسيط بين عالم الأحياء وعالم الأموات.

وللقطط قُدرة على الرؤية في الظلام، وأكثر من ذلك كيف تلمع عيونها في العتمة.

من مواهب القطط أيضًا قدرتها على استباق الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات، قدرة استثنائية في التوجه الجغرافي، المحاكاة التلقائية. وفي مجال استباقها الأحداث تُحكى قصص كثيرة عن قطط أنقذت أصحابها من الحوادث.

في القرون الوسطى ارتبطت القطط بالذاكرة الشعبية، ولا يزال الاعتقاد سائدًا إلى اليوم بعدم التحديق مباشرة في عيون القطط لأنها يمكن أن تاخذ إلى بُعد آخر بالسحر.

كثيرة هي الشخصيات التي أحبت القطط... فالقطط حيوانات لطيفة وناعمة، غامضة وساحرة، ولديها أرواح سبع للحُب.

يروي التاريخ قيام المصريين القدماء بتحنيط عددًا لا يُحصى من القطط، حتى أنهن أنشأوا أول مقبرة للحيوانات الأليفة في العالم، عمرها الآن ما يقرب من ٢٠٠٠ عام، تضم قططًا ترتدي أطواقًا من الحديد والخرز . وقد اشتهروا بولعهم بكل ما يتعلق بالقطط، وقد تجلى هذا بوضوح في الآثار الفرعونية التي أخذت شيئًا من سمات القطط كتماثيل عملاقة أو مجوهرات معقدة التركيب.

كان المصريون القدماء يؤمنون بازدواجية المزاج عند

القطط «شترستوك» التقديس والحب بحسب رواية المؤرخ اليوناني القديم «هيرودوت»، فقد كان المصريون القدماء يحلقون حواجبهم كمراسم حدِاد لفقدان قطة العائلة. ويعلل المؤرخون هذا الاحترام الشديد باعتقاد المصريين القدماء بأن آلهتهم وحُكامهم يمتلكون صفات تشبه القطط.

وقد خلص معرض ٢٠١٨ الذي أقيم في متحف سميثسونيان الوطني للفنون الآسيوية **Smithsonian National Museum of Asian Art** في واشنطن العاصمة حول أهمية القطط في مصر القديمة على وجه التحديد، إلى أن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بازدواجية المزاج عند القطط. فمن ناحية يمكن أن تكون الحارسة الأمينة والمخلصة والحانية، ولكن من ناحية أخرى يمكن أن تكون مشاكسة ومستقلة وشرسة. وقد أعطى هذا الاعتقاد صفة سامية للقطط التي باتت محل كل اهتمام واحترام، مما استدعى بالنتيجة بناء تماثيل لها. ويعتبر تمثال أبو الهول في الجيزة، وهو نصب يبلغ طوله ٧٣ مترا وله وجه رجل وجسم أسد، أشهر نموذج عن تماثيل القطط.

في الدولة الحديثة، حيث تمثل سخمت في هيئة اللبؤة المفترسة، وترمز القطة إلى المعبودة باستت، ابنة معبود الشمس رع، التي كانت تصورها الرسومات على شكل امرأة لها رأس قطة، لذا تُعتبر «باستيت» معبودة الحنان

والوداعة، فقد ارتبطت بالمرأة ارتباطًا وثيقًا.

ووفقًا لكتاب «معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة» للدكتور طلال محمود حرب، فإن الإلهة «باسيت» جُسِّدتْ على شكل قطة، وربطت باللبؤة «أنثى الأسد» أيضًا قبال ارتبطها بالقطة الأليفة، وكان الفراعنة المصريون خلال الاحتفالات بالإلهة باسيت، يكرمون القطط.

قام المصري القديم بتربيتها في البيوت، وعند موتها كان يحنطها مثلما يحنط موتاه، وكان قتل القطة، جريمة قد يعاقب عليها من يقوم بذلك عقوبة شديدة. وبحسب عدد من المؤرخين، فإن المصرى القديم، كانت له علاقته الخاصة جدًا بالحيوانات، وبخاصة القطط، وكان قتل قطة في مصر القديمة يستوجب عقوبة الموت، حتى لو كان هذا القتل عن طريق الخطأ.

المؤرخ **Diodorus Siculus** يحكي عن قصة رجل روماني قتل قطة في مصر بالخطأ، فانقض عليه الناس وقتلوه، على الرغم من أن الملك شخصيًا تدخل محاولاً إنقاذه (خوفًا من احتمالية انهيار العلاقات الدبلوماسية مع روما والدخول في حرب معها) ولكن الناس لم تبالي لا بمخاوف الملك ولا باحتمالية الحرب.

في الميثولوجيا النوردية أو الإسكندنافية، ارتبطت القطة بالإلهة «فريا» إلهة الحب والجنس والجمال والخصوبة، التي يتم تصويرها محمولة على عربة تجرها قطتان.

وفي الأديان التي تؤمن بعقيدة تناسخ الأرواح، كما في البوذية اعتُبرت القطط مسكنًا للأرواح المقدسة، التي تختارها لتسكن فيها.

وفي العصور الأوروبية القديمة، عُبِدت القطة كإلهة في إيرلندا، وكانت قبائل الفايكنغ تعتبر القطط أكثر الحيوانات حنانًا وأُلفة، ولم يكن يقتنيها إلا الملوك والأُمراء.

أمَّا الإغريق فقد عرفوا قيمة القطط وقدرتها على مكافحة القوارض وقدرتها الفريدة في الاعتماد على غريزة البقاء.

وفي روما فقد اعتبروا القطط رمزًا للحُرية وحارسًا روحيًا للمنزل، وقد استخدمت القطط كحارس للمعابد بهدف حماية المخطوطات من الفئران والقوارض.

وفي الصين، اعتبرت القطة «لي شو» إلهة للخصوبة، تُقدم لها القرابين في نهاية كل موسم حصاد. كما اعتبرت في حضارة الهند القديمة إلهة الأمومة.

وحظيت القطة في اليابان بمكانة رفيعة، فكانت غالية الثمن، يمكن للنُّبلاء فقط اقتناؤها، وكانت تُحفَظ في المعابد لحراسة المخطوطات الثمينة، وحماية شرانق ديدان الحرير من القوارض.

كذلك اعتبرت القطط في الثقافات البوذية والبورمية مسكنًا للأرواح المقدسة، التي تختارها لتسكن فيها وتوصلها إلى الجنة بعد وفاتها.

اتسم التعامل مع القطط في الحضارة الإسلامية بقدر كبير من اللطف والاهتمام، فحظيت بمعاملة حسنة ومكانة خاصة. فقد ذكرت الأحاديث النبوية الشريفة أن امرأة حُبست قطة فلم تدعها تذهب لتسعى لطعامها، ولم تقدم لها الطعام حتى ماتت القطة فكان مصير المرأة النار.

وذُكِر في أحاديث نبوية (شريفة) أخرى أن القطط طاهرة غير نجسة، وأنها من الطوافين والطوافات في البيوت، وأن الرسول الكريم كان يتوضأ من الماء الذي شربت منه القطة واعتبره طاهرًا.

كُني أحد الصحابة بأبو هريرة اقتباسًا من لفظ الهر بسبب تعلقه الشديد بهذا الحيوان. ويُعتبر القط أكثر الحيوانات تواجدًا في بلاد المُسلمين، ومن أكثر الحيوانات اقتناءً من قِبل المُسلمين. وعلى عكس الكلاب، فإن الشرع الإسلامي أجاز بدخول القطط للمنازل والبيوت والمساجد وذلك لطهارتها.

تعتبر القطط حيوانات روحانية ودروع طاقية تجاه الطاقة السلبية، القطط تعرف كيف تتعامل مع الطاقة السلبية وكيفية حمايتك منها، وتُعبِّر عن الكثير من المزايا

أكثر من حُبنا لها كحيونات أليفة تلعب القطط دورًا فعالاً منذ آلاف السنين فقد كانت رفيقة للبشر، حيث كان للقطط مكانة خاصة عند أغلب الثقافات، جعلتها الفراعنة آلهة ويعتبرها اليابانيون جالبة للحظ، استعملها العرَّافون والسحرة حيث كانوا على معرفة بالقوى الروحانية التي تتمتع بها القطط واستفادوا منها.

وجود القطط بالبيت يعطي طاقة إيجابية كبيرة وذلك لأن القطط تمتص الطاقة السلبية من الأماكن ومن البشر وتطهرها، فيقال إن القطط تشعر بالعضو المصاب وتقترب منه، فلا ننسى أن القطط هي كائنات صيادة في الأساس تعتمد على رائحة حادة جدًا، فمن المرجح أن تشعر بأي خلل في الأداء الطبيعي للجسم حيث أكد بعض مالكي القطط أن قططهم ساعدنهم في اكتشاف مرض السرطان قبل أن يشعروا هم به. لا توجد أدلة علمية على ذلك لكن هناك شهادات كثيرة بهذا الخصوص كحال الأحجار الكريمة، التي نضعها في البيت من أجل امتصاص الطاقة السلبية أو على مراكز الطاقة فوق الجسم تتصرف القطط بنفس الطريقة، حيث يلاحظ أن القطط تنام في أماكن مختلفة لأنها تملك منبهات تتعرف على الطاقات السلبية، عندما يختار قطك مكانًا معينًا للنوم فاتركه وشأنه فقط.

بما أن القطط مُنظفات طاقية نفس الأحجار الكريمة فهي أيضًا تحتاج لتفريغ الشحنات السلبية، فتجد أنها

تنام كثيرًا للتعافي.

تستعمل القطط الخرخرة أيضًا لتحييد الطاقة السلبية، فالصوت الذي تصدره القطة يولد مجالاً اهتزازيًا قادرًا على تحريك وتنظيف الطاقة السلبية، يقال إن القطط تحمل أربعة وعشرين اهتزازًا أو شعيرات مما يمكنها من رسم خريطة ثلاثية الأبعاد للمكان المحيط بها، وتستخدم القطط الاهتزازات لتشعر بالحركة من حولها فتراها تتصرف بغرابة أحيانًا وتتسع عيونها وتموء على غير العادة يعتقد أنها ترى أشياء لا نقدر نحن البشر على رؤيتها كالأشباح والأرواح التائهة أو المعلقة وقد استخدم السحرة القدماء أيضًا القطط للكشف عن حضور الأرواح في حضرتهم للتعامل معها.

تُمثِّل القطط التي تظهر في حياتك فجأة رسائل لك: فإذا ظهرت قطة عند باب منزلك فاسمح لها بالدخول ذلك لأنك في حاجة لهذه القطة في هذا الوقت بالذات لأنها استشعرت الطاقة السلبية أو أرواح تائهة وتطوعت لتساعدك في التخلص منها.

يعبر رمز القطة عن الوفرة والحظ السعيد ويجلب الكثير من الفرص لحياتك.

••••

- لا لا هو عفريت، هو نوع فائق القوة من الجن وغالبًا هو مرتبط بالعالم السفلي كما أنه متماهى مع أرواح الموتى وقد شاع في الثقافة الأوروبية بأن له صلة بالأماكن التي تحفل بالشر. لا بد وأنها عفاريت وعُرفت على أنها شياطين قوية أو أنها أرواح الموتى الذين يسكنون أحيانًا في أماكن مقفرة مثل الأطلال والمعابد وإن موطنهم الأصلي هو العالم السفلي

كانت «هدى» وكأنها تحلم وكأنها فاقدة للوعي، وفي الوقت عينه متعمقة التركيز والتفكير والوعي!

••••

تُستخدم كلمة عفريت للدلالة على شخصيات معينة غالبًا ما تكون خرافية أو خيالية، وأحيانًا يمكن أن تُذكر كشخصيات حقيقية لما لها في عالمنا من وجود.

وموضوع وجودها خرافة أم حقيقة، تتعلق عادة بمعتقدات الشعوب وطريقة تفكيرهم أو عقيدتهم وما ورثوه من أسلافهم. ولكن العفاريت مذكورة في الكثير من القصص والحكايات الشعبية والأساطير المختلفة والتراث المتناقل بين الأجيال، وقد يكون هنالك عفاريت ذات شخصيات وأشكال مختلفة فمنهم من هو طيّب وخيّر

ومنهم من هو شرير وخبيث. وحتى أشكالهم تارة يُقال إنهم ذوي وجوه حسنة، وتارة بأنهم ذوي وجوه قبيحة، بعضهم يشبه البشر وبعضهم يشبه الحيوان أو فيه خصلة من أحد الحيوانات، وكثير منهم قادر على تحول أشكاله وصوته.

والعفريت قادر على التلاعب بالبشر وإيهامهم بالأشياء التي يريدها.

••••

فتحت «هدى» عينيها بصعوبة وراحت ترف بجفونها بطريقة متواصلة علَّها بهذا تسترجع تركيزها، إنها تهذي ورأسها يضج بالأفكار كمطرقة، وتعود الهمهمات تئن في أذنيها والخيالات تتراقص في فضاء الغرفة، إنها الأرواح، وتوقيتها عند معاناة الشخص فإنها تستغل ضعفه.

فكرت «هدى» أن هذا البيت مسكون بالأرواح، لا بد أنه من البيوت التي يوجد بها أرواح أو جان، وعلى مدى التاريخ عُرفت هذه البيوت وكثُرت الشائعات عنها بأن البيوت المسكونة تكون قد حصل فيها جريمة قتل، أو تكون فيها روح معذبة ومسجونة، وعلى الأغلب أن البيوت المسكونة تكون مهجورة من البشر.

ويُطلق على البيت بأنه مسكون عندما يُلاحظ فيه

ظواهر غريبة مثل الظلال والأصوات التي لا صاحب لها. إن في علوم ما وراء الطبيعة تفسير هذا بما يسمى الطاقة النفسية وقيل إن سبب هذه الطاقة النفسية هو الموت بشكل بشع أو الموت بعد التعذيب القاسي لهذا تتبقى من تلك الطاقة بعد الموت لتسبب هذه الظواهر الغريبة، وتتوقف تلك الظواهر بعد أن تُستنفذ تلك الطاقة النفسية بعد صراع مع ذاك العالم الخفي وما يمكن أن يصدر عنه.

ولما له من خصوصية غير عادية ولأنه عالم غريب مختلف تمامًا عن عالمنا إلاأن هنالك أشياء في الحياة يجب أن تترك وحدها من دون محاولة العبث وتخريبها، من دون أي تدخل فقط تُترك وشأنها.

أسرار الكون كله تجمعت في لحظة. فتحت «هدى» عينيها وبدأت دموعها تنهمر على وجنتيها، وتراءت لها ملامح وجوه بتكاوين فتيّة تتلظى بنارٍ تستعر وتقذف بلهيبها في عمق أعماق إنسان شارف على وضع حدّ لحياته وحدود لحياة آخرين وذراعين مُدت من خلال اللهب تحاول جاهدة من دون نوى انتشال ما تركه الحريق وإنقاذ ما بقي من جسد رطيب، لكن عبث قوة الحقد كانت أقوى.

صراع أزليّ بين الخير والشر تجاذب وتنافر وتنافس بين الذات والذات، تقاتل قوتين عظيمتين في كائن واحد تصادم بين النفس والنفس وكأنه زلزال يزعزع كيان الإنسان

ويشتت أواصل الإيمان ويرمي به في أحضان اليأس والإذعان، وكأن الأرض انقسمت إلى قسمين وظهرت هوّة عميقة تأجّ بنيران بركان، حمم ولظى، وكأن باب الجحيم فُتِحَ على مصراعيه وشَرَّع جهنم بابه.

شعرت «هدى» كأن هناك من يدفعها للأسفل وألسنة النار تناديها وتمد يديها نحوها...

أرادت «هدى» بقوة إغماض عينيها وأن تترك نفسها تنزلق بهدوء، أرادت الإستسلام بشدة. وسمعت صوت امرأة تضحك بطريقة مُبتذلة وصوت بكاء طفل وصراخ طفلة تنادي بصوتٍ قوي عظيم أرجف جسد «هدى» حتى العظام:

– أُمي أنقذيني. ماما توقفي عن الضحك. ساعديني... أبي أبي، توقف أرجوك توقف النار تحرقني.

ودوى صوت عيارٍ ناريّ جعل الدم يتجمد في عروق هدى.

بعدها سمعتْ صوتًا مُحَشرَجًا أحسَّتْ وكأنها تختنق وكأنها تبتلع نهرًا من الماء وشعرت بطعم المُرّ في حلقها، ففتحت عينيها ورأت جُثث قطة وصغيريها تطفو على سطح بركة مائها لزجة سميكة سوداء.

أسرعت هدى تحاول إخراج القطط، لكنها لم تستطيع التحرك، وسمعت كل الأصوات مجتمعة التي أصدرتها القطة(المعروف أن القطط يمكنها إصدار ١٠٠ صوت

بنبرة مختلفة)ومزَّق مهجتها وأحرق كبدها صوت العويل والنحيب والبكاء، وكسر قلبها فجيع القطة، وكأنها مقيدة ولا تستطيع الإتيان بأية حركة، فقط تشاهد ما يحدث، وقد هالها ما رأت.

وفجأة لفت انتباهها حركة في وسط الغرفة قُرب حائط شبه مهدوم، فيه تشققات تسيل منها الدماء، وسمعت مواءً ضعيفًا لهرتين صغيرتين تتلويان من الجوع... ثم تقترب قطة ضعيفة هزيلة عظامها بارزة تحت معطف باهت اللون مترهل، وراحت تنهش من لحمها وتُطعم صغارها.

جُنت «هدى»، وصارت تصرخ بأعلى صوتها:

– لا لا توقفي أيتها القطة... يا الله ساعدها... أيتها القطة أنا سوف أطعم صغارك... أنا أهتم بكِ... توقفي توقفي.

وفجأة غمر الضباب الغرفة كلها ولفَّها كأذرعٍ من سراب، وظهر قط أسود على حافة الشرفة المخلعة واقفًا على قائميه الخلفيتين رافعًا يديه للأعلى نحو هدى، فأسرعت ترفعه بين يديها وتحتضنه بقوة، فتحول فجأة لطفل صغير مُحترق وسال رمادًا من بين أصابعها. فصرخت والدموع تنهمر من عينيها وشعرت بلهيب النار يلسع فؤادها... وأصبحت الرؤية ضبابية، وأختفت الغرفة بجدرانها وشبابيكها ودخانها من أمامها.

وإذ بصوت وكأنه يأتي من البعيد البعيد ويضيع صداه في الأرجاء، يُناديها:

- روح يا روح ياااا روح...

كان صوت (رامي)، وكلمته الأولى التي نطق بها وهو في عمر الخامسة وبعد عناء وصبر وصلوات وإبتهالات ومعالجين مختصّين وعلاجات طويلة وأوقات كانت تمرّ بطيئة ومُرهقة من أجل أن ينطق ابنها ولو بكلمة واحدة، فقد تأخر كثيرًا بسبب الصدمة التي مرّ بها، كما أخبرها الطبيب. ولفترة من الزمن ظلت هذه الكلمة الوحيدة التي يتمتم ويُهجّئ حروفها وينادي الكل بها (يا روح)

رغم أن اسم روح معناه واضح، إلاأنه يعني ذاك السر العظيم الذي وضعه الله في الإنسان والذي يعطيه الحياة، وبمجرد خروج الروح من الجسد، يموت هذا الجسد، فالجسد فاني، ولا فرق إن كان الجسد جسد إنسان أو حيوان فإن الروح هي الروح، هي جوهر الإنسان في أعماقه، هي ما يختلج بين فلذاته، عُمق الجروح وعُمق الوضوح أيضًا، هي السلام الذي يستشعره الإنسان داخل لُبّه بعد معاناة طويلة، هي الاستسلام لمشيئة قدرة عظيمة، هي الرضوخ بقناعة لقوة أعظم من قدرة البشر والارتماء بكل اطمئنان في أحضان السلام الداخلي اللامتناهي للإدراك الباطني المنسجم مع كل نفس لا إرادي وتلقائي يعلو ويهبط داخل الصدر ويجري في العروق جريان الدم في الأوردة. بلحظة

واحدة إجتمعت الطبيعة بكل عناصرها، زعق الرعد بصوتٍ هزّ أُسس ذاك البيت وأركانه، وأضاء البرق السماء كشُهُبٍ غاضبة، وزمجرت الرياح تعصف زوبعة من الأعاصير التي تحمل موجات من الصقيع غلف أروقة ذاك المنزل ودرجاته وردهته وباحته الخلفية والمحيطة به.

من دون وعي وضعت «هدى» يدها على عنقها وراحت أناملها تتحسس السلسلة الفضية المُطعمةبالذهب التي تتدلى منها القلادة «الأيقونة» التي أحضرها لها عمها يوم سافر إلى مصر... كانت يومها في الثالثة عشر من عمرها، يومها لم تفهم معنى الكلام الذي قاله لها، ولماذا أصرَّ عليها بأن تضع القلادة ولا تنزعها من عنقها أبدًا، وقد وعدته يومها بأنها سترتديها دائمًا...

وها هي اليوم وبعد مرور كل تلك السنوات لازالت تذكر أخر مرة تحدث معها عمها، فيومها كان المرض قد هدَّ حيله وأجبره على ملازمة الفراش، وطلب منها الجلوس قُربه وأمسك يدها بضعف أبكاها، فهي ليست معتادة على رؤية عمها ضعيف ومسلوب القوة هكذا، وهو الذي كان بالأمس لا يهدأ، تراه اليوم يرقد بين الحياة والموت ضعيفًا وهزيلاً، وجهه محاط بهالة بيضاء، نظراته باهتة مُتعبة، وعيونه تنظر للبعيد لمكان مجهول وكأنه يرى أُناسًا ويستمع إلى شيءٍ يهمسون به، والبسمة ترتسم على ثغره (بسمة اكتفاء)، من دون أن ترى هي أحدًا أو تسمع شيئًا وكأنه ينظر

من خلالها إلى ما بعد الحياة...

- عِديني يا ابنتي بأن تكوني دائمًا أنتِ كما أنتِ، وألا تتغيري مهما عصفت بك الرياح، ومهما كان عصفها عظيم، ومهما أضعفتكِ الظروف ومهما كانت قاسية... إن الإنسان الحقيقي يظهر عند اشتداد المِحن وعندما تقسو عليه الحياة وتستحيل غير مُحتملة فإن جوهر الإنسان يبدو على حقيقته عند احتدام الأزمات، فالذهب عند حكه يظهر، والمعدن الأصيل لا يزيده الضرب سوى لمعانًا وبريقًا. أحبي وتعاملي بالمحبة، فالطيبة راحة للقلوب المُتعبة. اغفري وسامحي من أساء لك غير مرة، فالمسامحة رحمة. اعطي كل شخص قيمته وكل شيء معناه الأصلي. اعطي فرصة لكل موقف ولكل ظرف وليس في كل مرة فإن البئر تضحل مائه مرة بعد مرة. ترقبي المطر وتحضَّري للعواصف، قد تكون منفردة أو تأتي مُجتَمعة دفعة واحدة. عيشي زهاوة الصيف وقساوة الشتاء كلٌ في حينه لهو سلطان في زمنه. شرّعي أبواب اليقين وتصرفي بالمنطق، لا تغالي بطيبة القلب ولا تُجازي التائب بالمذلة. اعطي الحب من قلب صادق الوعد وكريم، وسوف تمنحك الحياة ما هو أعظم... عديني يا طفلتي يوم الدين والآخرة ألا تكوني بين الظالمين، عيديني بإنصاف نفسك قبل الباقين، فإن من أحب نفسه احترمها وأجلّ الآخرين. اقتلي الشكّ باليقين، وخافيَ الظنون بالأمر المُبين، بالمنطق حكِّمي العقل

والضمير ولسان الحال بالسكينة وراحة البال يَنطِق، بالإيمان والعزة نحو النجوم يترفّع شأنك كالشمس بريقك كنور القمر كالذهب والفضة ككل ما هو ثمين كحجرٍ كريم وأرواح بريئة في نبضات القلب تستكين، خيالات تلتصق بالذاكرة كيفما نظرتِ محفورة في رمش العين وإن أثقلها التعب وأغلق الجفون فهي منقوشة داخل طيات الروح؛ في نياط القلب؛ في مهجة الفؤاد؛ داخل الحشا؛ في غور العيون وما وراء البصر وما يُحفر داخل الهدب كما النقش في الحجر... عيديني يا «روح».

إرتعشت أناملها وهي تتلمس «الأيقونة» وقد أحسَّت بالبرودة تسري في أوصالها من لمسها الأحجار التي تزيّن السلسلة من الجهتين... (نجمة وقطة بيضاء بحجر (الزبرجد وحجر القمر)، شمس وقمر في الوسط ومن جديد قطة سوداء ونجمة بحجر «أونيكس» و»عين النمر».

أغمضت عينيها وعادت بالذاكرة للوراء، ورأت عمها ينظر إليها بحنان ويُمسِّد شعرها الطويل بأصابع مُرتجفة ويقول:

- (الشمس)، هي تجسيد للإرادة والحيوية والقوة وفقًا لموقفها كنجم في النظام الشمسي فإن نجمنا هو رمز للتوازن وأعلى مثال يمنح طاقة للروح، الشمس هي قوة الإبداع والإستقلال والتفرُد... (القمر)، يُجسِّد الأحلام والمشاعر الخفية والعقل الباطني وقابلية التأثّر والميل

إلى التخيلات والحدس، وفي الوقت نفسه هو رمز للحزن وقابلية للمزاج وشرود الذهن والتردد... (الذهب): يساعد في موازنة الطاقة في الجسم ويُمثِّل ارتباطنا بهدف حياتنا الروحانية ويساعد في الحفاظ على جميع الشاكرات متوازنة، ويجلب النعيم والتنوير وتحقيق الإمكانيات الجوهرية للذات. يساعد في القضاء على صراعات الأنا والإحباط والمشاعر الدونية والإكتئاب، ويساعد في موازنة شاكر القلب المسؤولة عن قدرتنا على حب النفس والتعاطف مع الآخرين. يساعد على موازنة العين الثالثة وشاكرات التاج المسؤولتين عن الارتباط الروحي بالسماء والخالق والكون، المسؤولين أيضًا عن الخيال والحدس. يزيل الذهب الطاقة السلبية من الشاكرات الهالة المحيطة بالجسد وجميع الأجساد الطاقية.

يمسح بيده خدها ويُكمِل:

- استمعي جيدًا يا «روح»... (الفضة)، يجلب الحظ الجيد والسعادة في الحياة وهو مصدر مُهدِّئ للأعصاب والضغط، تجديد الطاقة الإيجابية ونقاء الجسد، وينشط العقل لأنه متصل بكوكب القمر.

وبعد أن أتمّ كلامه أغمض عمها عينيه.

فتحت «هدى» عينيها وقد أحسَّت بقوة غريبة تُجدِّد طاقتها وتعطيها نفحة من الثقة تقوي عزيمتها على

التشبث بإيمانها بعظمة الله وقوة الخالق والإتكال عليه...

(لا بدّ للخير أن ينتصر)...

أضاءت الدنيا أكثر وكأن غيمة بيضاء ناصعة لفَّت السماء، وهدأت الرياح المزمجرة وتوقف البرق وعمّ السكون، وما عاد يُسمع أي صوت أو همهمة، واختفت الظلال وذاك الكائن القابع في الركن اختفى.

راحت يداها تتلمسان الأرض تحتها تتحسس السبيل وقد حجبت الدموع الرؤية عن عينيها، ولمست بقعة مياه باردة، وسمعت صوت شلال ينساب ببطء...

نظرت «هدى» وبرقت عيناها، وإذ بها أمام نبع مياهه شفافة عذبة، هو نبع الحياة، يعكس على سطحه سماء مرصّعة بنجمتين، هما عيون الزمان...

جمعت يديها وملأت كفيها وغسلت وجهها مرات ثلاث:

في المرة الأولى مسحت وجهها وقالت: (يا رب يا حنون يا رحوم).

في المرة الثانية قالت: (يا رب يا عطوف يا غفور).

في المرة الثالثة قالت: (يا رب يا عالم بكل شيء، يا عشقي الأبدي).

وكان الإنجاز المعنوي العظيم...

أحسَّتْ بموجة من الدفئ تجتاح جسدها بسلام غريب

يملأ كيانها، وشعرت بسكينة تغمر كل حواسها، وبشيء من الهدوء الممزوج بالأمان والطمأنينة، وأتى تصرُفها تلقائيًا ومن دون تخطيط أو تفكير... أخذت علبة من الحليب الذي أعطاها إياها الطبيب، فتحتها ووضعتها في الزاوية اليمنى من الغرفة ووضعت القليل من الطعام الجاف في الجهة المعاكسة.

وبينما كانت تهم بالخروج؛ لفت نظرها اسم الشركة الموجود على علبة الحليب، ليس غريبًا عنها، لكنها لا تتذكر أين قرأت أو سمعت بهذا الاسم من قبل، لكنها متأكدة بأنها تعرفه.

••••

توجهت «هدى» عائدة إلى البيت وقد أرجأت زيارة العم «ونيس» لوقت آخر، فقد بدأت العاصفة بتثبيت سطوتها على الطرقات التي تحولت بيضاء من جديد.

كانت تسير بشكل بطيء، ومع أن الأغراض التي تحملها لم تكن ذات حجم كبير أو وزن ثقيل، لكن إحساسها وكأنها تحمل ما فاق احتمالها، شعور غريب أتعبها لدرجة كانت تتوقف لبعض الوقت لأخذ أنفاسها بين كل حين... والأغرب، أنها بكل استراحة كانت تضع أغراضها أرضًا إلا

أنها لم تكن تحس بأي فرق فقد كانت وكأنها لا تزال تحمل وزنًا زائدًا.

وصلت «هدى» إلى البيت، ودخلت إلى المطبخ فورًا وهي تشعر وكأنها كانت غائبة لمدة طويلة. وضعت الأغراض على الطاولة، ودخلت إلى غرفة المعيشة لترى «رامي» نائمًا قُرب القطة، التي ما إن نظرت نحوها حتى تجمدت في مكانها وتسمر نظرها لنقطة ما وراءها.

التفتت «هدى» لظنها بأن «رافي» دخل الغرفة وأخاف القطة، لكنها لم تجده، استغربت من ردة فعل القطة وفكرت أنها ربما لم تتعود بعد عليها.

باشرت بإطعام القطة وملئ صندوق الفضلات بالرمل الخاص ووضعه بالزاوية قرب باب الحمام من أجل أن تعتاد القطة استخدامه.

••••

سأل «رافي» زوجته:

– ما بكِ حبيبتي؟ هل أنتِ مريضة؟

– لا، إني أشعر ببعض التعب فقط، لا تهتم.

– ولكن وجهك شاحب، لا بد وأنكِ تتألمين من شيء ما.

تركز نظره على كتفيها، وقد بدا له بأنها لا تقوى على تحريكهما بشكل طبيعي، كما وأنها لا يمكنها فرد ظهرها جيدًا، ويبدو مقوسًا...

- أمتأكدة بأنكِ بخير؟

سألها وعلامات القلق في نبرة صوته وعينيه... نظرت في عينيه بمحبة:

- لا تقلق إني بخير، قد أكون متعبة، وهذا كل ما في الأمر.

صار «رافي» بقلق يراقب تحركات زوجته عن كثب ليلاحظ بأن التعب يزداد عليها يومًا بعد يوم، كانت تتحرك ببطء والألم بادٍ على محياها.

قالت له بينما كانوا يتناولون العشاء ذات ليلة:

- غدًا يجب أن أذهب لإحضار الدواء لـ «رامي».

- غدًا يوم إجازتي وسأذهب أنا لإحضاره، لا تشغلي بالك أنتِ بهذا.

ودخلوا للنوم تلك الليلة.

كان الطقس رديء جدًا في صباح اليوم التالي ما منع «رافي» من الخروج من البيت، حتى «هدى» لم تتمكن من الذهاب إلى ذاك المنزل لترى إن جاءت القطة الأم للبحث عن طفلتها التي على ما يبدو بأنها تتحسن مع مرور الساعات.

وبينما كانت «هدى» منهمكة في إعداد الفطور، وبما أن

زوجها لا عمل لديه اليوم، قررت أن تحضِّر له طنجرة من «الكشك»، وهي مفيدة في هذا الجو العاصف، لإنها تزيد من الشعور بالدفء، كما أن رافي ورامي يحبانها كثيرًا.

نادتهما «هدى»:

- الفطور جاهز،

ورغم أنها جاهدت لإخفاء تعبها إلاأنها فشلت، وما إن دخل زوجها إلى الصالة حتى بادرها بالقول:

- ما بكِ؟ إن لونك مخطوف.

دخل «رامي» وهو يحمل القطة الصغيرة ويصيح:

- نحن جائعان، أين الطعام؟

تبادلت «هدى» و «رافي» النظرات وغرقا في الضحك.

بالكاد لمست «هدى» طبقها، لم تكن تشعر برغبة لتناول الطعام، وما كادت تتجه بأفكارها حول الظروف التي يمر بها زوجها والتي تجعله دائم الشرود مهمومًا، حتى سمعت صوت مواء قريب، لكنه مواء ضعيف فيه شيء من الحزن والتعب، أنصتت جيدًا لتتبين مصدر المواء.

وفجأة ركضت الهرة الصغيرة بسرعة كبيرة رغم إصابتها، فأسرعت «هدى» باللحاق بها، حيث توجهت إلى المطبخ وفتحت الباب لتجد قطة سوداء وبيضاء ويُكلِّل رأسها بقعة ذهبية وكأنها تاج لامع بفن وإبداع من يدي الخالق، تقف أمام الباب تضربه بيدها...

وما أن رأت القطة «هدى» حتى اقتربت منها وصارت تدور حول قدميها وتلتصق بها.

كان جسد القطة مبلولاً بالكامل، والضعف واضح عليها، ولاحظت «هدى» انتفاخ أثداء القطة، مما يعني بأنها أنجبت حديثًا.

كانت القطة تنظر إليها بطريقة جعلت الدموع تترقرق في عينيها، وتفاجأت بخروج هرة صغيرة سوداء من وراء القطة الأم. وبسرعة حملت «هدى» الهرة الصغيرة ودخلت بها إلى الصالة قُرب المدفأة، ونادت على القطة الأم لتلحق بها.

طلبت من «رامي» إحضار المناشف، وعادت إلى المطبخ لإقفال الباب.

تسمَّرت «هدى» مكانها مصدومة من المنظر الذي رأته...

كانت القطة مستلقية على سجادة المطبخ، تُرضع هرتها الصغيرة، وقد حضنتها بيديها الإثنتين ولفت أقدامها حولها...

(يا سبحان الله يا سبحان الخالق، سبحان خالق الأكوان سبحانك ربي).

كانت «هدى» جاثمة على الأرض قُرب القطة تمسح جسدها المبلول وتُسبِّح الله لهذا المشهد الذي تراه...

(يا رب العزة، أيها الجليل الجبار الذي لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم المبارك، اجعله مباركًا من خلال أرواح هذه القطط البريئة الطاهرة، يا رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، احمِ مخلوقاتك هذه من كل شر مبين يضمره لها البشر، يارب يا أرحم الراحمين).

أحضرت غطاءً سميكًا ووضعته قُرب النار، وحملت القطة وصغيريها وجلست قربهم على الأرض تحاول تدفئتهم، والدموع لا تنفك تنهمر من عينيها.

كان «رامي» مصدوم من كل ما يحدث، ويقف قُرب والده من دون حِراك، فيما والده يراقب بصمت دون أن يعلم ماذا يفعل.

كانت الهرة الصغيرة تموء بصوت غريب، قوي وعميق ومتحشرج، وتتمسح بأمها بطريقة أوجعت قلب «هدى»، والقطة الأم تحضن أبناءها بإصرار وكأنها تقول:

- لا تأخذوا صغاري مني، لا تبعدوني عنهم، لا تحرموني منهم.

- لا تخافي أيتها الملكة، لا تجزعي أيتها الأُم، لن أسمح لأي أحد بالاقتراب منكم أو أذيتكم، لن أسمح بأن يصيبكم أي مكروه يا حبيبتي الصغيرة الجميلة، لا تخافي أيتها الأم الحنون، فأنا سوف أحميكِ وأهتم بكِ وبأولادكِ كما أهتم

بابني، وسوف أحبكِ وأحب أبناءكِ كحُبي لابني وعائلتي يا حبيبة قلبي، أيتها الروح النقية.

أسرع «رافي» بمساعدة زوجته على النهوض، والتي كان يبدو عليها التأثر الكبير بالذي حدث، كما وأن الألم كان واضحًا عليها من الطريقة التي تعقد بها حاجبيها كلما تحركت.

أحضرت «هدى» الطعام والماء على صينية ووضعتها قُرب القطة، وأيضًا أحضرت وعاءً مليئًا من الحليب وقرَّبته من الأم المُرضعة...

- يجب أن أغذّيها جيدًا... هي ضعيفة، والله وحده يعلم كم عانت تلك الصغيرة جراء حرمانها من أولادها... يا رب لا تسمح بأن تتعذب هذه المخلوقات أو تعاني جراء جهل بعض البشر وجحودهم، يا رب اِحمي هذه الأرواح من إجرام وبطش بعض الذين يقال عنهم بأنهم من أبناء آدم، يا رب يا راعي اجعل هذه الكائنات من قطيعك واعتني بها وأبعدها عن أحقاد الإنسان عديم الإنسانية.

كان ألم «هدى» يزداد في كل دقيقة، كانت تشعر وكأنها تحمل شيئًا ثقيلاً كيفما تحركت. ورغم التعب الذي كانت تعانيه إلا إن الإحساس به كان الأصعب، وفكرت أنها ربما قد تكون تعرضت للفحة هواء باردة يوم ذهبت لعيادة الطبيب، وكلها بضعة أيام وسوف تتحسن.

حملت القطة الأم وداعبتها وقبَّلت وجهها الصغير، وصارت تُحدِّثها:

- كم أنتِ جميلة يا صغيرتي، وكم أنا سعيدة بوجودك.

وفجأة اقتربت القطة من كتفها وتمسكت بها بقوة غارزةً مخالبها الصغيرة في سترتها، حارت «هدى» من تصرف الهرة، غير أنها عانقتها وأبقتها في حضنها.

استيقظت «هدى» فجأة على صوت ضحكات أطفال صغار وأصوات مواء، فأسرعت إلى غرفة المعيشة لتجد بأن «رامي» حيث أصر على البقاء، نائمًا والقطط أيضًا نائمون، فدخلت إلى المطبخ وكل شيء في مكانه... اقتربت من النافذة التي كان يدخل منها ضوء القمر الفضي المضيء ويملأ نوره المطبخ والردهة والصالة، نظرت إلى الخارج إلى الباحة الأمامية وإلى السماء المرصعة بنجوم تنير كبدها وكأنها أنوار معلقة لامعة، وفجأة انعكس خيالٌ أمامها على زجاج النافذة، ورأت ظِلاً لطفلين صغيرين وراءها مباشرة، فاستدارت بسرعة، لكنها لم تجد أحدًا، وشعرت بألم ظهرها وبقرصة برد أرجفت جسدها، فأسرعت عائدة إلى سريرها.

كان الهدوء يخيم على كل الشارع صباح هذا اليوم الذي بدا غريبًا على «هدى» التي وما أن نهضت من سريرها حتى أسرعت للاطمئنان على «رامي» والقطط...

وما إن شعرت القطة بقدومها حتى أسرعت نحوها وكأنها تستقبلها سعيدة بوجودها. انحنت «هدى» لكي تحملها وتُداعب وجهها الجميل، والتي بدورها راحت تلتصق بها بحُب وأمان.

••••

في إحدى الليالي، وبينما كانت «هدى» تتحضر للنوم، وإذا بـ«رامي» يُفاجئها بدخوله إلى غرفتها وسؤالها إن كانت تسمح لـ«راما» بالنوم قُربها قائلاً بأنها خائفة من صوت الرعد.

نظرت إليه وسألته مُبتسِمة:

- من تكون «راما»؟ هل أطلقت هذا الاسم على القطة؟

فهزّ رأسه بالنفي، فقالت بتعجُب:

- إذًا من هي؟

- هي صديقتي الصغيرة.

نظرتْ بذهول حيث أشار بيده، ولم تجد أحدًا، ففكرت أنه ربما يكون خائفًا ويريد النوم قُربها ولكن يخجل من الاعتراف، فدعته للجلوس بجوارها على السرير. حينها سألها من جديد:

– هل تسمحين لـ«راما» بالجلوس أيضًا؟

– اقترب حبيبي تعال.

إلاّ أنه ظل مكانه من دون حراك، وقد بدا الحزن عليه...

سألته وقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان:

– ما بك يا رامي؟

– لا شيء يا أمي، لا بأس سنعود إلى الصالة، لقد تركت القطط وحدها.

ثم خرج.

ظلَّت للحظات مصدومة مما حدث، فلحقتْ به، لتجده قُرب الموقد يلاعب القطط...

تأملتْ وحيدها بقلق لبعض الوقت، وعادت إلى غرفتها.

لم تنم طوال الليل، وكانت تنهض بين الحين والآخر للاطمئنان عليه، وفي كل مرة كانت تراه يهمس، وأحيانًا كانت تراه يضحك وكأن أحدًا يلعب معه، بالرغم من أنه كان وحده، وحتى القطط كانت أغلب الوقت نائمة بحضن أُمها ترضع.

••••

كانت «هدى» تعد القهوة حين دخل «رافي» ووجدها واجمة، وعلامات التعب واضحة عليها...

- كيفك حبيبتي؟

واقترب يقبل جبهتها المحمومة.

- بخير. كيف كانت ليلتك؟ هل تعبت في العمل؟

- أنا بخير لا تقلقي... لكن ماذا عنكِ؟ هل كل شيء على ما يُرام؟

- نعم نعم، الحمدلله.

كانت نظراتها حائرة وكأنها تائهة تبحث عن شيء ما طوال الوقت، وهذا أقلقه كثيرًا، فأخذ صينية القهوة من يدها وهو يقول:

- سأشرب معكِ فنجان قهوة وسأتوجه بعدها لحانوت «الحبيب» لإحضار الدواء لـ«رامي»، وإن كُنتِ تحتاجين أي شيء آخر اكتبيه لي أيضًا. الطقس اليوم مقبول وغدًا سوف تتجدد العاصفة؛ حسب ما يقولون.

اكتفت «هدى» بإماءة من رأسها الذي كان يؤلمها بشدة.

تأخَّر زوجها بالعودة لدرجة أقلقتها، فهي لم تطلب منه إحضار الكثير من الأغراض معه، إذن لما كل هذا التأخير؟!

انتصف النهار، وتوترها يزداد مع كل دقيقة تمر... إلى أن فُتح الباب ودخل زوجها، فراحت تنظر إليه بتمعن تستطلع

حاله، وكان يبدو متعمق التفكير وكأن شيئًا ما يقلقه ويشغل باله، ولاحظت أنه ينظر إليها بطريقة غريبة... قالت تحثه على الكلام:

- حسنًا...؟ أين الدواء؟

نظر إليها وكأنه يبحث عن شيء مُحدَّد:

- كيف تشعرين الآن؟ هل أنتِ بخير؟

- نعم بخير، الحمد لله.

استغربتْ كثيرًا من سؤاله المتكرر عن صحتها، فاقتربتْ منه واحتضنته قائلة:

- أنا بخير، لا تقلق.

اكتفى بضمها بقوة.

أردفتْ:

- ماذا عن الدواء؟

- لم أجد «الحبيب»، فالحانوت مُغلق اليوم.

تفاجأتْ كثيرًا لدرجة أنها شعرت بالدماء تتجمع في رأسها، فهي شبه متأكدة بأن العم «ونيس» لا يغلق بابه بوجه، أحد وبالتالي هو دائمًا موجود... ولكن ملامح الشرود التي كانت تعلو وجه زوجها منعتها من استكمال حديثها.

كانت الهواجس تُقلق «هدى»، وصمت زوجها أرعبها، فما الذي يُخفيه؟ ولماذا هو خائف، أو مما هو خائف؟

ذهبت «هدى» لتفحص الهرة المصابة، فيما دخل «رافي» للنوم كعادته في كل يوم عندما يعود من عمله...

غير أنه في هذا اليوم لم يتمكن من النوم، وظل يتمشى في غرفته وهو حزين لأنه كذب على زوجته، وهو يعلم تمامًا بأنها لا تكره أي شيء أكثر من الكذب...

ولكن كيف يخبرها عن الذي قاله له «الحبيب»؟ كيف يُفسِّر لها ما يحدث إن كان هو شخصيًا ليس مُقتنعًا به؟

راح يستعيد الأحداث التي وقعت، منذ أن وطأت قدماه أرض ذاك المكان الغريب بتكوينه وبموقعه، والأغرب بالنسبة له هو مالكه، ونظرات عينيه، وسكنات جسده، وحركاته الهادئة، والطريقة التي ينطق بها كلماته بتمهل مع التشديد على لفظ بعض الأحرُف حيث يشعر المُستمع بأن هناك معركة دائرة بين الحروف.

شعر «رافي» بانتماء غريب لذاك المكان وصاحبه، وباستسلام تام سيطر على جميع حواسه وهو يستمع لكلمات ذاك الرجل الذي يُقال عنه «الحكيم»:

- لا دواء لـ«رامي»، ليس بعد الآن، لن يكون بحاجة إلى أي علاج، الجاهل التجاهل هو الذي لا تضيع ودائعه دينيًا ونفسيًّا في كل جانب آخر قال... للجسد على كل حال عدم وللحين ما هو مكتوب عليها وعليكم...

«رافي» تملكه الذهول ما الذي يقوله هذا الرجل؟!

وأكمل «الحكيم»:

– روح تحوم حول بيتك يا غافل النعمة يا حاقد النوايا وناقد الأفعال يا غائب مغيب، تتلو فرائض صومك كشيء معيب حارت بك الظنون، والذنب ذنبٌ عظيم بادرت به يداك، فاستحال العمر والشعر شائب مشيب، يا مُشكِّك يا مُتهرِّب من خلال تخاذلك عن واقع أوجده غيابك وتهاون على كل جانب آخر، يا صامت ولا مجيب لدعوة التحالف الذاتي والنكران للنفس واجب في كل حين... روح تسكن مقام مقال رائع من خلال هذا الجسد الهزيل تحمل أجسام ذنب ليس لها في حمله جميل... رب العزة والكرامة رب العباد والجلالة له في حُكمه وعزله كما عدله على عباده المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم بارك روح بما فيها من أحمال...

– سيدي لا أفهم ولا حتى كلمة واحدة من كل الذي قلته، ما معنى كلامك؟ ومن المقصود به؟ أرجوك أخبرني بوضوح.

لن ينسَ «رافي» إطلاقًا الطريقة التي نظر بها إليه ذاك «الحكيم» وهو يقول:

– ليتك تعلم كم أنت محظوظ لوجودها في بيتك أُمًّا لأبنائك، فإنها حنون وعطوف جدًا، أُمًّا رائعة وربَّة منزل ممتازة، هي تعلم كيف تتعامل مع أبنائها، تميل إلى التعامل بلين ورفق ورحمة مع جميع المخلوقات، شخصية هادئة تفكيرها حكيم ومتزن، تُفكِّر بعمق ووعي شديد في كافة

أمور الحياة وبالأخص في الصعوبات، تحب المبادرة في مساعدة الغير، ولا تنتظر أن يطلبوا منها طالما لاحظتْ أن هنالك شخصًا في حاجة إلى المساعدة. تُحسِن الظن بالناس كأنهم كلهم خير. تعرف كيف تعتمد على نفسها منذ الصغر، ودائمًا لديها رغبة تحثها على الاستقلال عن الآخرين. تميل لتكون شخصية مستقرة متزنة طموحة، دائمًا تسعى لتحقيق أحلامها. من أهم ميزاتها الصبر، قادرة على تحمل كافة المسؤوليات وأعباء الحياة في كل الظروف. تتصرف بوضوح تام وتحب الخير للغير ولا تعرف الخبث أبدًا. تكره الظلم والظالمين ولا تحب الخيانة أو الخديعة بأي شكل من الأشكال، وأكثر ما تكرهه هو الكذب. شخصيتها قوية وحادة في بعض الأحيان وذلك مع الأشخاص المؤذيين فقط. تحب الغموض فيما يتعلق بحياتها الشخصية، تميل إلى العُزلة والابتعاد عن الحشود والتجمعات الكبيرة، لا تمتلك العديد من الأصدقاء، وهذا لأنها تمتلك قلبًا طيبًا وصادقًا وصفات وأخلاق حميدة. مُحبة تُضحي كثيرًا في سبيل من تُحب، وتكون بجانبهم في وقت الشدائد.

قال «رافي» مصدومًا:

– نعم أعلم، أجل طبعًا، ولكن من أخبرك كل هذا عن زوجتي؟... حسنًا، ولكن ليس عندنا سوى ولد واحد.

كان يستمع لنفسه يتلعثم بكلماته ويشعر بتفاهته، فنظر إلى «الحكيم»:

– أرجوك أيها الشيخ: ارشدني، انصحني، ساعدني.

فنظر (الحبيب) بعطف، وقال:

– «روح» حامل.

– كيف؟! لا، لا يمكن... لم... أنا... إنها...

ثم التزم الصمت.

– هي حامل بتوأم، إنما ليس داخل أحشائها، بل حمل يُثقل كاهل ظهرها وكتفيها وقلبها ووجدانها... غير أنها لاحقًا سوف تنجب بنتًا، وستطلق عليها إسم «راما».

– أُمي، أُمي... أتريدين أن تعرفي أسماء قططي؟

صوت «رامي» انتشل «رافي» من أفكاره، فخرج من غرفته وتوجه إلى غرفة المعيشة. بالوقت ذاته الذي كانت «هدى» تقول:

– نعم طبعًا يا حبيبي أريد، ما أسماء قططك؟

– القطة الأم: (Queen – ملكة) والقطة المُصابة: (Bloody snowball – كرة الثلج الحمراء؛ أو الدامية) والقط الآخر الذي قلتي بأنه ذكر، أنا أريد أن أسميه: (Spirit –روح) إلاأن «راما» تريد أن نطلق عليه اسم: (Ghost – شبح).

بحذر شديد سألت «هدى» ابنها:

– أين سمعت بكلمة (الدامية أو **Bloody**) ؟ وهل تعرف ما تعني؟ ومتى أخبرتك «راما» بأنها تريد تسمية القطة بهذا الاسم؟

– «رامي» هو من طلب من «راما» إخباري بهذا.

– تقصد أنك أنت من أخبر «راما» بهذا... وأين هي «راما» الآن؟

– لا لا، «رامي» اسمه مثل اسمي، وهو شقيق «راما»، إنهما توأمان.

شعرت «هدى» بالإغماء، وفقدت توازنها، وقد اغرورقت عيناها بالدموع الساخنة وهي تنظر لابنها وحيدها ولا تعلم ما به ولماذا يتصرف هكذا؟

وللحظة فكرت بأنها لاحظت ومنذ وجود القطط في البيت بأن «رامي» تحسنت صحته بشكل كبير ملحوظ، حتى أنه ما عاد يسعل بالكاد سعلة واحدة إن كان يلعب ويركض وراء القطط، وحتى أنه لم يوسخ فراشه ولا مرة، وأنه يلفظ كل الحروف بشكل واضح، على عكس الماضي حيث كان يتلعثم ويتئتئ في الكلام.

بلعت ريقها بصعوبة...

– وأين هُما رامي وراما الآن؟ وكيف تعرَّفت عليهما؟

– إنهما هنا أمي، يختبئان وراء الأريكة.

بصوت بالكاد يُسمع بيدين ترتجفان من هول ما سمعت، سألت:

– وكيف أتيا؟ وأين أهلهما؟ أين يسكنان؟

أجاب «رامي» بكل عفوية وبراءة الطفولة:

– أنتِ من أحضرتهما أمي، فليس لديهما منزل، ولم يُجيبان عن سؤالي عن والديهما... «راما» تقول بأنك أنتِ أُمها، وهي تحبك كثيرًا، لكنها خائفة من أن تكوني أنتِ لا تُحبينها، وأنا أخبرتها بأنك تحبين كل الناس وكل الأطفال وكل القطط أيضًا... أليس هذا صحيحًا يا أُمي؟

– بلى صحيح يا رامي، أُمك تحب الجميع.

اقترب «رافي» من زوجته وضمها بقوة إلى صدره، وهمس في أُذنها:

– لا تخافي حبيبتي، أنا بقُربك وسأظل بقُربك دائمًا.

••••

استيقظت «هدى» فجأة على حركة قُربها في السرير، وللحظة ظنت بأن «رامي» أتى لينام بجوارها كما اعتاد أن يفعل في الكثير من الليالي. ورغم أنه ومنذ وجود القطط قد غيَّر عادته هذه، ولظنها بأنه ابنها؛ رفعت الغطاء لينام قُربها، وبالفعل شعرت به يدخل السرير، ولكن شعورها

المفاجئ بالبرد جمَّدها، وبشيء من الرهبة قالت:

- هذه أنتِ يا «راما؟

وأكملت ودموع الألم تعصر كبدها:

- تعالي حبيبتي اقتربي، دعيني أضمك وأُدفئك.

اقتربت «راما»، وخُيِّل لـ«هدى» بأنها سمعت صوتًا يقول:

- أُحبكِ ماما.

وصوت ثانٍ يقول:

- وأنا أيضًا أُحبك يا ماما.

وشعرت بالسرير ينخفض من الجهتين...

- اِقتربا من قلبي أيها الصغيران، وناما داخل روحي، وتمسكا بضلوعي.. (يلا تنام يلا تنام، لن أدبح طير الحمام. طيري طيري يا حمامة بحُرية وأمان... يلا تنام يلا تنام)

كانت تتهزج بهذه الكلمات بصوت مخنوق وقلب يعصره القنوط.

••••

كاد طعام القطط أن ينفذ، وكان لا بد من الذهاب إلى عيادة الطبيب من أجل إحضار الطعام والحليب، فانتظرت

«هدى» عودة زوجها من عمله كي لا تترك الأولاد وحدهم في البيت...

نعم الأولاد، إذ أن «راما ورامي» أصبحا من أفراد العائلة، رغم استحالة الأمر، إلاأنهما لا يبتعدان عنها طوال الليل والنهار، هما لا يجوعان ولا يعطشان ولا يطلبان منها الألعاب أو الملابس الجديدة أو الحلوى والسكاكر، هما فقط يريدان حُبها وحنانها.

وصلت إلى العيادة وإستقبلها الطبيب ببسمة مُرحِّبًا، وباشر بسؤالها عن الهرة الصغيرة، فأخبرته عن كل ما حدث وكيف أن القطة الأم دقَّتْ بابها وأتت من أجل ابنتها التي تعافت كُليًّا، وأحضرت معها ابنها الآخر، وبأنهم جميعًا قُرب المدفأة الآن.

فرح الطبيب كثيرًا بهذه الأخبار.

طلبت منه إعطاءها الطعام الجاف وبعضًا من الطعام الرطب من أجل الهرر الصغيرة، وطلبت منه أيضًا المزيد من علب الحليب الجاهز لأن القطط أحبته كثيرًا.

أخبرها بأن كل الذين أعطوا الحليب لقططهم عادوا من أجل المزيد، وأنه بالفعل حليب مغذي وعالي الجودة، وأنه طلب من التاجر إحضار كمية كبيرة منه.

هنا تذكرت «هدى» الإسم الذي قرأته على علبة الحليب سابقًا... ولكن من يكون هذا التاجر؟ ولماذا يتبرع بالطعام

والدواء والحليب لمُربيي الحيونات الأليفة؟

وهنا دق الباب فقال الطبيب: (تفضل).

- إنه التاجر الذي تسألين عنه، ستتعرفين عليه بشكل مباشر شخصيًا.

دخل الرجل... وفي لحظة تبدَّلت ملامح «هدى» الهادئة إلى غضب وسخط وصاحت فيه:

- هذا أنت؟! كنت متأكدة بأن الإسم ليس غريبًا عني! بحق الله ما الذي تفعله هنا؟ ألا تخجل من نفسك أيها المُهمل المؤذي؟ أليس عندك أقل مستوى من الأحاسيس الإنسانية؟ ألا تملك القليل من المسؤولية أو رجاحة العقل أو بعض المنطق أو ما يسمى الضمير أو بعضًا من الكرامة وعزة النفس أو الوجدان في قاموسك الفاسق الذي يشرع الأذى والمتاجرة بأرواح الناس؟...

بلطف وضع الطبيب يده على كتفها:

- إهدأي سيدتي أرجوكِ.

اقترب منها التاجر بحُزن واضح:

- لقد تذكرتُكِ... سامحيني، لقد بحثتُ عنك طويلاً ولم أجدُكِ... أردتُ الاعتذار.

- الاعتذار؟! الاعتذار عن ماذا؟! وبماذا ينفعني اعتذارك بعد كل المعاناة التي مرَّ بها ابني بسببك وبسبب طمعك وجشعك وعدم رؤيتك للأذى الذي تسبَّبت به للكثيرين...

هُنا تدَّخل الطبيب موضحًا لها بأن الرجل أدرك خطأه ويحاول التكفير عن ذنبه وعن أفعاله التي لم يعلم بعمق أضرارها والأذى الذي ألحقه بالآخرين بسببها.

صمتت «هدى» وقد تملَّكها الأسى من الذكريات الصعبة والمعاناة التي عاشتها والأوجاع التي تكبدتها من جراء مرض ابنها، فحملت أغراضها ورحلت رافضةً أي منتج من منتجات هذا الرجل.

خرجت من العيادة والدموع تتساقط غزيرة على خديها تحجب الرؤية أمامها، ومن دون وعي وجدت نفسها تسير بالإتجاه المعاكس لمنزلها، تحديدًا بإتجاه حانوت العم «ونيس». صارت تحث الخطى مسرعةً وكأن الشيطان يطاردها ووصلت، ومن قبل أن تراه، ناداها:

- اقتربي يا «روح الهدى».

فدلفت إلى الداخل تقودها قوة غريبة، قوة مجهولة، قوة عظيمة

- خففي عنك يا صغيرتي، أعلم بمقدار الألم الذي تشعرين به الآن، وبحجم المسؤولية التي تحني ظهرك، وأعرف تمام المعرفة بضخامة المعاناة التي تعيشين في ظلها، لكنني أعلم أيضًا عن طموحات قلبك، وأعلم كُبر الحلم الذي يتغذى من روحك وتطلعات بصيرة فؤادك، وتوق مهجتك لإنقاذ الأرواح المعذبة، المعلقة، وشغف

نفسك بإسكان المهملين المهمشين المنبوذين في كنف حنانك ورعاية كل محتاج متروك لمصير غامض مجهول، إنني أعلم يا «روح»، وسوف يكون لك كل ما تتمنينه وأكثر. بكيتِ كثيرًا، طويلاً يا ابنتي، ودموعك لم تذرف ولو لمرة واحدة عليكِ، دائمًا للغير... وها هنا يكمُن الخير.

••••

بدأ الربيع يفرش بساطه على الحقول والبساتين وجوانب الطرقات بألوانه الزاهية، والشتاء يلملم بقاياه ويوضبها للعودة لاحقًا بموسم جديد. والطبيعة تنفض عن محياها الزمهرير وتتحضر لفصل ملوّن جميل.

كانت «هدى» تشعر بقوة عظيمة بداخلها تتجدد في صباح كل يوم، كانت تهتم بعائلتها وتُغدق الحب والمحبة على الجميع، تتحمل آلام ظهرها وكتفيها بابتسامة، مؤمنة بحكمة الله قانعة بحكمه، والأرواح تلتصق بروحها تُثريها وتُنعش جوهر الإنسان في أعماقها، تُباركها ببركات كل ما هو مُقدَّس في مفهوم البشر والملائكة بقدرة أقوى من الظروف، أقوى من الذنوب، وأقوى بكثير من التوبة والاعتراف الفاضل للخطيئة بكل ما تحمله الحياة من أوزار محسوسة وأوزان محسوبة، كلّ بما يليق به وما يمكن حمله.

كانت «هدى» تُحضِّر الطعام، عندما دقَّ الباب، فأسرع «رامي» بفتحه... وبعدها بدأت الأصوات تعلو وتتداخل مع بعضها، ودخل «رافي» إلى المطبخ قائلاً:

- تعالي واستقبلي ضيوفك.

لحقت به ونظرات التساؤل تلمع في عينيها، لتجد عائلة «رافي» كلها مجتمعة في الصالة... لم تفهم كيف ومتى، غير أنها أقبلت ببسمتها المعهودة وطيبة قلبها الواضحة في نظرات عينيها، لاستقبال زوارها.

عاد الوئام بين زوجها وعائلته بعد أن قام بزيارتهم في وقت سابق من دون إخبارها، إنما بالنسبة لها رحبت بمبادرته هذه وهنَّأته عليها.

••••

نادت «هدى» على «رامي» لإعطائها المعول، كانت منهمكة بزرع البذور في حديقتها الصغيرة أمام البيت حين سمعت صوت خطوات تقترب، نظرت ولدهشتها وقفت من دون حِراك...

كان الطبيب هو القادم الذي بادرها بالسلام، كادت تتبسم ردًا للتحية حين تجهمت ملامح وجهها لرؤية الشخص الذي كان يرافق ضيفها الذي باشر الكلام من دون

أن يترك لها المجال للاعتراض:

– أرجوكِ استمعي إلي: إن العقاب الذي نلته من جراء طمعي في جمع المال كان قاسيًا جدًا، صدقيني (إن الله يُمهل ولا يهمل).

وراح يقصُّ عليها ما حدث له، والدموع لا تتوقف؛ دموع اللوعة من هول الكارثة التي كادت تُودي بحياة ابنه الوحيد بعد أن حصل احتكاك لأشرطة الكهرباء في مستودعاته التي كان يُخزِّن بداخلها أطنان من المفرقعات والألعاب النارية، وهبَّتْ النيران وفي بضعة دقائق كأنها الجحيم وكان ابنه البالغ من العمر الخامسة عشرة مُحاصرًا داخل الغرفة التي نشب بها الحريق، ولم يتجرأ أحد من موظفيه على الاقتراب لإنقاذه، إلاالكلب الذي كان يربطه أمام باب المخزن، كسر طوقه ودخل بين ألسنة النار وأخرج ابنه الغائب عن الوعي وجره بعيدًا عن الخطر...

– الكلب أنقذ حياة ابني رغم تعرضه للإحتراق، إلا أنه لم يتخلى عنه.

كانت «هدى» تصغي بصمت وقد تملكتها الحسرة وهي ترى الرجل يبكي بحرقة.

– والكلب، ماذا حلَّ به؟

أجابها الطبيب

– داويته واعتنيتُ به شخصيًا إلى أن تعافى تمامًا، وهو

موجود مع عائلة تحبه وترعاه مع طفل بفضله أصبح شابًّا الآن، ولا يدع الكلب يغيب لحظة واحدة عنه.

سألته «هدى»:

- ومستودعات الإجرام...؟

- تحوَّلتْ إلى مصانع تُصنِّع كل ما له علاقة بالحيوانات من طعام ورمل ومكملات غذائية وألعاب وإكسسوارات خاصة، مع أسعار مدروسة جدًا لكي يتمكَّن جميع مُربيّ الحيوانات من شراء حاجات حيواناتهم الأليفة والاعتناء بها جيدًا... كما وأني تعاقدت مع عدد من الأطباء البيطريين ومن بينهم هذا الطبيب، الصديق، صاحب القلب المُحِب والضمير الإنساني، لمساعدة حيوانات الشارع والاهتمام بها، فحيوانات الشارع مسؤوليتنا جميعًا.

كانت «هدى» حائرة من كلامه، وتنتابها الأحاسيس المتناقضة، بين تصديقه والشعور بالأسف تجاه التجربة الصعبة التي مرَّ بها، أو بين تكذيب نواياه وأهدافه ودوافعه المبطنة، المتخفية وراء ذريعة «استيقاظ ضميره الإنساني» فهي لم تنسَ الطريقة التي استقبلها بها يوم شكَّلت لجنة وتوجهت إلى مخزنه...

إنما لا يمكن لها التشكيك في نواياه أو دوافعه الآن، فلا شيء يجبره على القدوم إلى منزلها والاعتذار منها وخاصة بأنه يعرض عليها التعويض عمَّا تسبَّب به لها ولعائلتها

وترك لها تحديد المبلغ المطلوب والطريقة التي تناسبها.

كانت تنظر للطبيب في محاولة منها لإلتماس بعض التشجيع، فهي بصراحة لم تفهم جيدًا ما الذي يريده هذا الرجل منها.

أخبرها الطبيب بأنه سيقيم حملة لتوزيع الطعام والحليب لكل بيوت الضيعة التي لديها حيوانات أليفة، كما أنه وظَّف بعض الأولاد من أجل وضع الطعام الجاف لكل قطط وكلاب الشارع في كل الأماكن والطُّرقات الفرعية والرئيسية.

فرحت «هدى» كثيرًا بهذا الخبر وأثنت عليه، وأخبرت ضيوفها بأنها تسعى لتأمين موقع مناسب من أجل انشاء ملجأ للحيوانات وتنوي الاعتناء بكل تلك المخلوقات الجميلة.

أخبرها الطبيب بدعمه لمشروعها عارضًا مساعدتها بكل ما له صلة بالمُعاينات والأدوية وحتى العمليات الجراحية إن لزم الأمر. والتاجر أيضًا أعلن عن استعداده بمدها بكل المساعدات اللازمة.

••••

مرَّت الأيام والأوضاع على حالها، «هدى» تهتم بأولادها، سعيدة بحِملها للوزن الذي يحني أكتافها أثناء سيرها، وأصوات الضحكات التي تدغدغ هامسة في أذنيها وتدفئ روحها وتطرب قلبها...

و«رافي» قسَّم أوقاته بين العمل وبيته وعائلته التي أصبح أفرادها يتردّدون باستمرار للزيارة...

و«رامي» يمضي أيامه ولياليه بين الركض واللعب في أرجاء البيت مع القطط حينًا وأطياف خيالات من عالم الغيب الحاضرة أحيانًا.

••••

في صباح يوم عادي بدأ كالمعتاد بالنسبة لـ«هدى» وعائلتها، إلاأنه لم ينتهِ هكذا، ففي زيارة خاصة ومُفاجئة من ضيف مجهول، قلبت كل الموازين لوضع تلك الضيعة الصغيرة وسُكانها عمومًا، ولـ«هدى» وعائلتها خصوصًا.
نادى «رافي» على زوجته:
- تعالي... عندنا ضيوف

فأسرعتْ إلى الصالة وهي تضع يدًا تسند ظهرها، ويدًا تحتضن بطنها المنتفخ... وبلحظة تسمرت في مكانها من هول المفاجأة وبالكثير من الذهول صرخت:

- «الحبيب»!

- اقتربي يا طفلتي العزيزة، لقد حان الوقت لكي ترتاحي قليلاً من حِملك الزائد الذي يُثقل كاهلك ويُبكي فؤادك في كل ليلة، يؤرق مضجعك ويسلبك الهناء وراحة البال، يُسمِّم مأكلك ويُزهد الصبر من داخل مهجتك، يُلزمك الوفاء بعهد ما قطعته، يُجبرك على الإقرار بذنبٍ ما فعلتِه، يفرض عليكِ الإعتراف بخطأ ما اقترفتِه... اقتربي صغيرتي، فإن الحياة اليوم ستسير وفق ما خططتِ.

مدَّ يده بمفتاحين: الأول مفتاح باب الحديقة... والثاني مفتاح بابٍ شهد على فاجعة رهيبة.

••••

• • • •

للتواصل مع المؤلفة

email: janananou2018@gmail.com

www.facebook.com/jana.nanu.54

شمس
للنشر والإعلام

شمس للنشر والإعلام

ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net